# الهجرات العربية في ساحل شرق أفريقيا والصراع مع البرتغاليين

أ.د/ عمر سالم بابكور(*)

**مقدمة :**

عرف عرب الجزيرة العربية طريقهم إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، كان ذلك في إطار عوامل عديدة ساعدت على هذه الربط منها عوامل طبيعية وبشرية.

وقد توافرت المصادر التى تشير إلى هذه العلاقة وبخاصة ما كتبه الرحال العرب وغيرهم ممن زاروا هذه الجهات وكتبوا عنها قبل أن تبدأ الأبحاث الحديثة، التى استطاعت بما كشفت من آثار وبقايا وكذلك الدراسات الأنثروبولوجية كل ذلك وغيره كشف عن الكثير من جوانب العلاقة بين المنطقتين.

وقد ظهر جلياً من خلال المصادر وجود علاقات للعرب بساحل شرق أفريقيا قبل الإسلام حيث عرف العرب طريقهم إلى بلاد الحبشة كذلك اتصالهم بشعوب أرض الزنج المطلة على المحيط الهندي أو بحر العرب.

وفي ظل الإسلام تطورت العلاقات بين العرب وشرق أفريقيا واستمرت العلاقة بعد ذلك أيضاً، وفي هذا الإطار عرفت بعض الأسر والجماعات طريقها من الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا كهجرة سليمان وسعيد، والزيديين والأخوة السبعة من الاحساء وغيرهم، وهو ما ساعد على وجود مراكز عربية على الساحل الشرقي لأفريقيا مثل بات وبرادة وبمبسا وزنجبار وغيرها.

وحين عرف البرتغاليون طريقهم إلى المنطقة في العصور الحديثة في إطار دوافع عديدة بين دينية واقتصادية وسياسية، كان طبيعي أن يظهر الصراع بين الطرفين سكان المنطقة والمستعمر البرتغالي، لذلك يناقش هذا البحث الصراع الذي ظهر في ظل الأطماع البرتغالية بالمنطقة.

---

( * ) أستاذ دكتور - المملكة العربية السعودية - وزارة التعليم العالي - جامعة ام القري - قسم التاريخ

جامعة القاهرة - عدد ٤٥، يناير ٢٠١٩ ص ص ١ - ٥٨ .

# شرق أفريقيا قبل الغزو البرتغالي

## عوامل الهجرة العربية:

عرفت أفريقيا الرجل العربي بحاراً ومستكشفاً، كما عرفته تاجراً ولا جئاً دينياً وسياسيا، ومبشراً وداعياً صاحب رسالة، وإدارياً، ومعلماً[1]. ولابد من متابعة نشأة وتاريخ وتطور هذه العلاقات العربية بأفريقيا حتى تفهم الخطوات الجادة التى قامت لربط أفريقيا بالأمة العربية سياسياً واقتصادياً وثقافياً[2]. وكانت الصلة بين الجزيرة العربية والساحل الشرقي الأفريقي أمراً بديهيا وحتمياً، فهناك أربع حقائق جغرافية ومناخية وبيئية لابد من الإشارة إليها لأنها ساعدت على ربط الجزيرة العربية بالساحل الشرقي لأفريقيا:

1) ذهب بعض الجيولوجيين إلى أن شبه جريرة العرب كانت في العصور الجيولوجية القديمة متصلة بالقارة الأفريقية، ومهما يكن فمن الأرجح أن مضيق باب المندب كان في العهود القديمة أصغر مساحة مما هو عليه الآن، وكانت القارتان أشد تقارباً، فلم يكن يفصل بينهما أكثر من خمسة وعشرين ميلاً ولذا كان هذا الباب منذ أقدم العصور طريقاً لدخول موجات بشرية متتالية من شبه جريرة العرب، وبالذات لشرق أفريقيا[3].
2) ساعدت عدة عوامل على هذه الاتصالات المبكرة بين العرب وسكان شرق أفريقيا، وفي مقدمة هذه العوامل عامل جغرافي هام. ففى ديسمبر من كل عام تهب الرياح التجارية من الشمال الشرقي ويستمر هبوبها بانتظام في هذا الاتجاه حتى نهاية فبراير، ومن إبريل إلى سبتمبر ينعكس اتجاه الرياح فتهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقى من زنجبار إلى مدخل عدن ثم إلى خليج عمان فلقد أصبح في إمكان التجار الذين يبدأون رحلتهم التجارية في سفنهخم الشراعية الصغيرة التى كان يطلق عليها اسم الداو Dhows من الشاطئ الغربي في الشتاء الاستعانة بقوة الرياح الذاتية في سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقي، وفي أثناء عودتهم إلى أوطانهم في الربيع، وبعد أن يكونوا قد قضوا بضعة أشهر في التجارة، يجدون الرياح مواتية أيضاً للاتجاه صوب الوطن الأصلى محملين بسلع القارة الأفريقية المنتوعة. وبمضى الوقت أصبح للتجارة والبحارة العرب

---

1 سيد حامد حريز: المؤثرات العربية في شرق أفريقيا. مجلة البحوث والدراسات العربية،العدد الحادي عشر، 1984م، ص5.

2 نفس المرجع، ص6،5.

3 شوقي عطا الله الجمل، العرب أسسوا مدن شرق أفريقيا وحولوها إلى مراكز تجارية هامة، الوثيقة، العدد13، السنة الرابعة، ذو القعدة، 1408ه/يوليو 1988م،ص53.

خبرة تامة بمواقيت الرياح واتجاهاتها، وأصبحت رحلاتهم بين شبه الجزيرة العربية والساحل الأفريقي ومدة استقرارهم بهذا الساحل تنظم تنظيماً دقيقاً تبعاً لمواسم الرياح المنتظمة المعروفة لديهم [1].

5) إن الساحل الشرقي لاسيما في منطقة الصومال وزنجبار وبعض أجزاء من كينيا وتنزانيا أى في نفس خط هبوب الرياح الموسمية[2].

د) إن العرب كانوا أمة تجارية ذات معرفة بأسرار وموانئ ومرافئ هذا البحر، إضافة إلى مقدرتهم على التكيف مع الرياح الموسمية [3].

وهذا ما دفع سكان السواحل العربية للخروج من شبه جزيرتهم العمانيين والحضارمة على وجه الخصوص لأنهم نشأوا في بيئة بحريةو مثالية في جنوب الجزيرة العربية، فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا في مجموعات صغيرة، فانتشرت في البداية في بعض الجزر الساحلية مثل سفالة (Safala) ومالندى (Malindis) وكلوة ( Kilwa) وممسبة ودار السلام. واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وحضارتها. وأن تندمج مع السكان الوطنيين [4].

وهكذا فقد ساعدت هذه العوامل على ربط الجزيرة العربية بالساحل الشرقي لأفريقيا، وبالتالي فقد تمكن العرب من إنشاء المدن والمراكز الإسلامية على طول الساحل، وكانت لهم علاقات مع السكان الأصليين لتلك المنطقة منذ القدم.

وكان لابد لإعطاء البحث حقه ومعرفة طبيعة العلاقات التى قامت بين العرب والأفارقة من الرجوع إلى المصادر التاريخية التى بحثت في هذا المجال، سواء العربية منها وغير العربية، وعلى القدر الذي أمكن الوصول إليه وقد كانت على نحو ما سياتي.

---

1 Hitchman, C; The land and peoples of East Africa. London 1960.P61.
شوقي عطا الله الجمل، العرب أسسوا مدن شرق أفريقيا، نفس المرجع، ص52.

2 سيد حامد حريز. نفس المرجع، ص9.

3 محمد حسين الزبيدي، هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا بدايتها ونهايتها. المؤرخ العربي، العدد الثالث والعشرون، 1404ه/1983م، ص101.

4 ي الدين محمد، أفريقيا بين الدول الأوربية، القاهرة، 1958م،ص52.

## المصادر التاريخية:

تقتضى دراسة المصادر التى تعرضت لتاريخ شرق أفريقيا تقسيمها إلى مصادر عربية عامة، ومصادر عربية محلية. وسوف يقتصر البحث في هذه المصادر على منطقة ساحل شرق أفريقيا، والتى يمكن تحديدها من خليج دلجادو في الجنوب إلى رأس جردفون في الشمال. وهى المنطقة التى كان يطلق عليها العرب بر الزنج وما يليها من الداخل.

وقد تميزت هذه المنطقة باصطدامها مع البرتغاليين ومن قيام دولة عربية فيها، استطاعت أن تجمع تحت لوائها جميع أمارات الساحل. وقد تم تقسيم التاريخ الذي مرت به هذه المنطقة في الدراسة إلى: العصر القديم العصر الإسلامي العصر البرتغالي العصر العماني ثم اختتمت هذه الدراسة بخضوع المنطقة للسيطرة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[1].

وتبين هذه المصادر سيطرة المسلمين من العرب على هذه المنطقة في فترة التاريخ الوسيط لشرق أفريقيا، الذي يطلق عليه العصر الإسلامي، حيث يمكن تحديده من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي حتى وصول البرتغاليين إلى شرق أفريقيا في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي [2].

ويرجع الفضل في إلقاء الأضواء على علاقة العرب بشرق أفريقيا إلى ما كتبه الرحالة العرب وغيرهم ممن زاروا هذه الجهات وكتبوا عنها قبل أن تبدأ الأبحاث الحديثة التى استطاعت بما كشفت من آثار وبقايا ومن دراسات أنثروبيولوجية وغيرها الكشف عن بعض الجوانب الغامضة في العلاقات العربية الأفريقية المبكرة وعند الرجوع إلى المصنفات العربية التى تحدثت عن شرق أفريقيا بدءا من القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادي تبرز في منتصف ذلك القرن كتابات سليمان التاجر التى كانت من النوع الذي يعرف بأدب المغامرات أو القصص البحري، وقد ترك وصفاً حياً للسواحل والجزر والموانى المختلفة، والمدن وسكانها، والمحاصيل الزراعية والسلع والمنتجات التجارية، كما يوجد في كتاباته وصفا شيقاً لأخبار الملاحة في المحيط الهندي، حيث وصف بلاد الزنج بقوله: "وبلادهم واسعة الأرجاء، وبناتهم لا تنمو إلا سوداء في لون بشرتهم". ونظراً لعدم وجود معلومات عن سليمان نفسه،

---

1 أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (1952م) ص130، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409ه/1989م. جمال زكريا قاسم، المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر 1968م، ص169.

2 محمد حسين الزبيدى، نفس المرجع، ص170.

فالبعض يشكك في نسبه هذه القصص إليه. وقد لقيت هذه القصص عناية خاصة من العلامة رينود ( Reinaud ) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي [1]، ومن أهم الكتاب نجد:

- ابن فقيه الهمداني أبو على بن رسته (290ه/903م) الجغرافي الفارسي وله كتاب الأعلاق النفيسه الذي كتبه بعد عشر سنوات من ابن فقيه (300ه/913م) والذي لم يبق منه سوى الجزء السابع في الفلـــــك والجغرافيـــــا، ولكن هذين المصدرين لم يتعرضا إلا بإشارات بسيطة لبلاد الزنج، التى اعتبرها ابن رسته إحدى حدود العالم الذي كان معروفاً في ذلك الوقت [2].
- أبو زيد السيرافي الذي ينسب إلى سيراف على الساحل الشرقي للخليج بالعربي (246 303ه/877 915م) [3] الذي يعتبر أول من قدم المعلومات المتصلة عن المنطقة. ولم يكن السيرافي رحالة أو جواب آفاق وإنما كان مؤلفاً، حيث اقتصر في كتابه على جميع وتدوين قصص التاجر سليمان [4]. ومع ذلك فإن السيرافي يعتبر من المصنفين الذين كتبوا باللغة العربية، وهذا ما يؤكد اتصال العرب بالساحل الشرقي لأفريقيا. فقد ذكر أن فيها ملوكاً يغزو بعضهم بعضاً، وأن أهل الزنج يحترمون العرب الذين لهم في قلوبهم هيبة عظيمة، فإذا عاينوا رجلاً سجدوا له وقالوا هذا من مملكة ينبت فيها شجر التمر، لجلال التمر عندهم وفي قلوبهم [5].

---

1 كراتشكو فسكي (أغناطيوس بوليانوفتش): تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408ه/1987م، ص 141.

2 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص172.

3 أبو زيد السيرافي: رحلة التاجر سليمان، انظر: سلسلة التواريخ، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1811م. ص46.

4 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص173.

5 أبو زيد السيرافي، نفس المصدر، ص51.

- عرب: محمد صابر، اليعاربة في مواجهة الوجود البرتغالي في الخليج العربي، جامعة الأزهر، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر.
- العسكري: سليمان إبراهيم، التجارة الملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، مطبعة المدني، الكويت، 1972م.
- عطية الله: أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مجلد (3، 4، 5)، 1383ه/1963م.
- العفيفي: عبد الحكيم، موسوعة، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1421ه/2000م.
- العقاد: صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1974م.
- العقاد: صلاح، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1394ه/1974م.
- على جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد،1977م.
- على سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، القاهرة، 1967م.
- العلي: صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، القرن الأول الهجري، بيروت،1979م.
- غباش: حسن عبيد غانم، عمان الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500 1970م)، دار الجديد، بيروت،1997م.
- غرايبة: عبد الكريم محمود، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج1، دمشق، 1960م.
- فخري: أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة.
- قاسم: جمال زكريا، الأصوال التاريخية للعلاقات الأفريقية العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، القاهرة، 1975م.
- قلعجي: قدري، الخليج العربي، بيروت، دار الكاتب العربي، 1965م.
- اللواتي: مال الله بن على بن حبيب، ملامح من تاريخ عمان، مطبعة عمان ومكتبتها، 2001م.
- محمد: حسن أحمد، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ط3،المطبعة المحمدية،1984م.
- محمد: صفي الدين، أفريقيا بين الدول العربية، القاهرة ،1958م.

❖ المسعودى الذي كان له أكثر من رحلة في المنطقة في الفترة من (304 314ه/916 926م) ويصفه بعض المستشرقين بهيرودوت العرب [1]. فقد زار الهند والصين وزنجبار والصومال ومدغشقر، وسجل مشاهداته هذه في ثلاثين جزءاً. ولكن لا يوجد من آثار المسعودى إلا كتابان أهمهما كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر). ويبدو أنه انتهى من تصنيفه عام (335ه 947م). ولا يعتبر هذا الكتاب مرجعاً فحسب، ولكنه أفضل ما كتبه رحالة العصور الوسطى [2].ولكن ما يؤخذ على المسعودى أنه لم يتحدث فيه اتصالات مباشرة وقعت بينه وبين سكان المناطق التى زارها، بل يمكن القول إن معظم معلوماته قد أخذها من أحاديثه مع البحارة الذين سافر معهم في رحلاته التى أضاء بها الطريق أمام الباحثين في تاريخ هذه المنطقة [3]. وقد وصل المسعودى إلى شرق أفريقيا بصحبة بحارة من عمان وسيراف ويقول :"وقد ركبت هذا البحر من مدينة سنجار (صحار) من بلاد عمان وسنجار قصبة بلاد عمان في جماعة من نواخذة السيرافيين، وهم أرباب المراكب. وركبت فيه سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو إلى عمان، وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم ابن جعفر السيرافي"[4]. ويبدو في حديث المسعودى أنه وصل إلى أقصى منطقة وصل إليها العرب، فقد ذكر أنه وصل إلى أقاصي بلاد الزنج وهى بلاد سفالة، وأن أقاصيه بلاد الواق واق وهى أرض كثيرة الذهب[5].

وقد بدأ المسعودي قصته عن شرق أفريقيا بالأسطورة القديمة عن الهجرات التى تتحدث عن أبناء كوش، وكيف اتجهوا يميناً وتنقلوا بين الشرق والغرب، وسكنوا الجزء الشرقي والجنوب الشرقي في أفريقيا، وكونوا شعوب النوبة والبجة. وهو يعتبر أن الزنج وحدهم هم الذين ثابروا في سيرهم جنوباً وراء النيل الأعلى، وهم الذين اتخذوا دار المملكة، وملكوا عليهم ملكاً سموه (وقليمن) وهى سمة لملـــــوكهم وهو يملك ملوك سائر الزنج ويركب في

---

1 Freeman- Grenvill the Medieval History of the cost of Tanganyika p-40 Berlin,1962.

2 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص174.

3 بازل دافيد سون: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، 1385ه/1965م،ص220 225.

4 انظر المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، نشر دار الرجاء بالقاهرة، ج1،ص328و333.

5 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص175.

300 فارس وأن دوابهم البقر وليس في أرضهم خيل ولا أبل ولا يعرفونها، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد [1].

ولعل أهم وأمتع ما كتبه المسعودي هو حديثه عن هذه المملكة، فقد أشار إلى غناها بالذهب، وأن الزنج بنوا عاصمتهم في أقصى الجنوب لتكون على مقربة من المناطق التى يستخرج منها الذهب، الذي كانوا يصدرونه بكميات وافـــرة [2]. كما يقول المسعودي في اختصار جامع: والزنج مع كثرة اصطيادهم الفيلة وجمعهم لعاجها فهم غير منتفعين بشئ منها في آلاتهم، وإنما يتحلى الزنج بالحديد بدلاً من الذهب والفضة والعاج. ثم يذكر ما يزرع الزنج وما يأكلون، فيقول : والغالب على أقواتهم الذرة ونبات يقال له الكلاري، ومن غذائهم أيضاً العسل واللحم [3].

وقد ركز المسعودي في رحلاته هذه على جزيرة قنبلو، فقد وصفها بأنها جزيرة حارة يعيش فيها قوم مسلمون بين كفار الزنوج، وكلهم في حكم أمير مسلم إلا أن لغتهم زنجية، وتردد عليهم المراكب العمانية. وقد ذكر أنه وصل قنبلو ثم عاد إلى عمان في عام (304هـ/916م). ويتبين في كتاباته أن العرب كانوا قابضين على زمام الملاحة في المحيط الهندي، خاصة الجزء المحاذي لساحل أفريقيا الشرقي [4].

وقد حدد المسعودي تاريخ استقرار المسلمين في قنبلو بالقرن ونصف القرن من رحلته. ولا يتبين في هذه الفترة التاريخية التى ذكرها المسعودي أى ذكر لتأسيس إمارة عربية، أو هجرة ملحوظة إلى شرق أفريقيا.

ويعتبر بعض المؤرخين أن جزيرة قنبلو هى جزيرة زنجبار، وعلى الرغم مما يستدل عليه من التاريخ المحلى لسلطنة كلوة بأن العرب المسلمين وصلوا هذه الجزيرة قبل زمن رحلة المسعودي، إلا أنه لا يمكن الجزم بأن تكون قنبلو هى إحدى جزر بمبا أو مافيا أو زنجبار. خاصة وأنه بإعادة النظر مرة أخرى إلى التحديدات التى أوردها المسعودي بالنسبة لموقع جزيرة قنبلو، فقد أكد فيها أن الجزيرة تبعد عن القارة مسيرة يوم أو يومين، بينما يلاحـظ أن هذه الجزر التى أشير إليها ترى من الشاطئ، حيث لا تبعد عنه سوى ساعات قليلة، وأن الاعتراض الأهم هو ما أكده المسعودي أن هذه الجزيرة يحكمها مسلمون يتكلمون لغة الزنزج، لما كان من المعروف أن العرب هم الذين تغلبوا على هذه الجزر، فإنهم بطبيعة الحال كانوا يتحدثون اللغة العربية ولهذه الأسباب فلا يمكن

---

1 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص176،175.

2 نفس المرجع، ص176.

3 انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، نفس المرجع، ص333.

4 جورج فضلو الحوراني، العرب والملاحة البحرية في المحيط الهندي والعصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، 1958م،ص24، وكذلك متز، الحضارة الإسلامية (مترجم)، ج2،ص429،430.

أن تعتبر واحدة من هذه الجزر الصغيرة هى التى عناها المسعودي بجزيرة قنبلو [1].

- ابن حوقل الذي وضع كتابه المسالك والممالك أو صورة الأرض في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وعلى الرغم من أنه قد أورد بعض المعلومات عن القسم الشمالي من شرق أفريقيا خاصة مناطق الحبشة والنوبة، إلا أنه يتعرض إلى القسم الجنوبي منه إلا بإشارات ضئيلة. فقد ذكر أنه من المستحيل السفر إلى بلاد الزنج لحرارتها الشديدة. ولكن مع ذلك يلاحظ في كتاباته شئ مهم، وهو إشارته إلى بعض الشعوب البيضاء التى تتاجر معها. ولكنه اكتفى عند حد الإشارة إلى ذلمك وهذا مما يستوجب الأسف [2].
- المقديسي (335ه/947م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وهو لم يقدم فيه شيئاً يضاف إلى المعلومات عن شرق أفريقيا خلال هذه الفترة، فلم يذكر أكثر من أن الجزء الغربي من المحيط الهندي يبدأ بعدن وينتهى ببلاد الزنج وهم غير الزنوج المعروفين في الهند [3].
- الخوارزمي البيروني (422ه/1030م) في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية، الذي ذكر فيه أنه يسكن في ساحل القارة الشرقي والجزر الجنوبية منها قبائل متفرقة من الزنج، وأشار إلى جزيرة الواق واق، واعتبرها إحدى جزر القمر، وذكر أن سكانها يعتنقون عقيدة الهنود.
- برزك بن شهريار وهو أحد الفرس وله كتاب وضعه باللغة العربية في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ويتضمن رحلته إلى بلاد الزنج وفي ما يبدو أنه كان يقصد ببلاد الزنج بلاد الهند وليس زنزج شرق أفريقيا. لما يتضح من تسمية الكتاب (بعجائب الهند). وتتأكد تلك الحقيقة في أن بعض المصادر العربية كانت تطلق على الهنود اسم الزنوج، ولذلك لا يمكن أن يعتبر هذا الكتاب من المصادر التى يعتمد عليها في هذه الدراسة [4].
- الإدريسى جغرافي عربي أقام في صقلية في الفترة من (494 562ه/1100 1166م) في بلاط الملك روجر الثاني أحمد ملوك

---

1 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص177.

2 نفس المرجع، ص180.

3 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص180.

4 برزك بن شهريار الناخذاه الرامهرمزي، عجائب الهند بره وبحره وجزائره، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص96.

النورمان، وقد عرف الكتاب الذي وضعه بكتاب روجر وأسماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[1].

وإن أهمية هذا الكتاب تعزز في أنه أول مصدر يتحدث عن مدن الساحل وجزره، ومن ذلك كلوة ومالينده، مع أنه لم يورد معلومات وافية عن هذه المدن، ويبدو أنه لم يهتم بالاستعلام عن تلك البلاد[2].

ويستدل من كتاب الإدريسي عن شرق أفريقيا أنه كان يأخذ مادته من الكتب، وقد انتهى الإدريسي من كتابه (نزهة المشتاق) في عام 549ه/1154م، ولاشك في أن الفترة التى كتب فيها الإدريسي هذا الكتاب كانت تجارة العرب متسعة في المنطقة اتساعاً كبيراً، ويلاحظ أنه لم يعن بتجارة العرب في الذهب والعاج والرقيق، ربما لأن هذه التجارة كانت معروفة في العالم الغربي تجارياً، وإنما انصرف إلى الحديث عن تجارة جديدة هى تجارة الحديد.

ويلاحظ في كتابات الإدريسي تغير في أوجه الحياة عن رحلة المسعودي، حيث تحدث عن مالينده التى لم تحظ من المسعودي حتى بذكر أسمها، كما تحدث عن ممبسة، التى يشتغل أهلها في تجارة الحديد، مما يدل على الصلات التى كانت قائمة بين شعوب الداخل وبين من يفد عليهم من الساحل من التجار العرب وغيرهم خاصة من الهنود، حيث كانت السيوف تصنع في بلاد الهند من حديد شرق أفريقيا [3].

ويلاحظ أن بعض الأماكن التى ذكرها الإدريسي ما يزال موجودة على الخرائط الحالية ولو بالتقريب كبراوة ومالينده وممبسة، ومنها ما اندرست معالمها.

ويقول الأدريسي: (إن جميع بلاد الزنج بضائعهم الحديد، وجلود النمور الزنجية، وهى جلود مرلينة جداً، ينقلون أمتعتهم على رؤوسهم وعلى ظهورهم إلى مديني ممبسة ومالينده، فيبيعون هناك ويشترون، وليس للزنج مراكب يسافرون فيها، وإنما تدخل إليها المراكب من عمان وغيرها إلى جزائر الزنج، فيبيعون بها ويشترون متاع الزنج، وأهل جزائر الرانج (الهند) يسافرون إلى الزنج في زوارق ومراكب صغيرة، فيجلبون منها أمتعتها، لأنهم يفهم بعضهم كلام بعض [4].

ومع كل ما ذكره الإدريسي فإن المعلومات التى أوردها تعتبر غير وافيه، فضلاً عن أنه أخطأ عند ذكره مدينة براوة، التى انتقل إليها الإسلام في زمن أسبق من كتاباته.

---

1 انظر مادة الإدريسي في دائرة المعارف الإسلامية.

2 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص182.

3 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص182 ،183.

4 دافيد سون، أفريقية تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، 1383ه/1964م، ص 12 ،13.

ومن ناحية أخرى فإنه لم يشر إلى كلوة إلا إشارة عابرة، مع أنها تأسست قبل مائتي عام من الإدريسي، وبلغت في زمنه أقصى درجة في ازدهارها، كما أنه لم يشر إلى بمبا ومافيا وزنجبار التى كانت تابعة لها، وهو لم يعرض أيضاً لمدينة مقديشو، في حين أنه ذكر بعض المدن التى كانت تابعة لها كبراوة ومركة.

ومن هنا يتبين لنا أن الإدريسي كان على دراية غير كافية بهذه الأماكن.

وإلى جانب كتاب الإدريسي عن تخطيط البلدان، فإنه وضع أول خريطة عربية كانت أدق وأشمل من الخرايطة التى وضعها بطليموس [1].

على أن الإدريسي لم يرحل إلى شرق أفريقيا كما فعل المسعودي، ولكنه استمع وقرأ كثيراً، فأتى بدقائق مهمة من المعلومات عن هذا الإقليم.

- ❖ ياقوت الحموي وكان رحالة وتاجراً صنف في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي،كتابة المعروف (معجم البلدان) الذي يعتبر من أهم ما صنفه العرب في هذا الموضوع، ويوجد في هذا المعجم أسماء لبعض مدن شرق أفريقيا كمقديشو والجب وكلوة، ولعل ياقوت هو أول من أشار إلى الشعب السواحلى. ويفهم ذلك من حديثه عنهم، إذ أسماهم البربر " وهم غير البربر الذين بالمغرب، هؤلاء يشبهون الزنوج، جنس متوسط بين الحبش والزنوج" . وقد أشار إلى مقديشو، فذكر عنها أنها "مدينة في أول بلاد الزنج، وأهلها كلهم غرباء ليسوا بسودان ولا ملك لهم، وإنما يدير أمورهم المتقدمون على اصطلاح لهم...".
- ❖ ابن سعيد (611 685ه/1214 1286م) وهو مؤلف جغرافي من غرناطة درس جغرافية بطليموس [2]، وصنف كتابه حول منتصف القرن السادس الهجري/ الثالث عشر ميلادي، حيث وضع موسوعته التى أسماها (جغرافية الأقاليم السبعة)، وقد أورد فيها حديثه عن سواحل شرق أفريقيا مع ذكر لبعض مدنها كماليندى وممسبة، وركز على مقديشو بصفة خاصة، وقد تحدث عن هذه المدن مراعياً ترتيبها بحسب موقعها من الشمال إلى الجنوب[3] .
- ❖ زكريا بن محمد المعروف بالقزويني، وله مصنف في تخطيط البلدان ويتضمن هذا المصنف بعض البيانات عن الشاطئ الشرقي لأفريقيا. غير أنه يتميز باتجاهه إلى ذكر العجائب، ويتضح ذلك

---

1 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص183.

2 لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، وتعليق: شكيب أرسلان، مجلدين، القاهرة، ص270.

3 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع،ص186.

من اسمه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)، 726ه 1325م، كما أن له كتاباً آخر بعنوان (آثار البلاد وأخبار العباد)، وقد اقتصر على ما نقله من المسعودي بالنسبة لحديثه عن زنوج شرق أفريقيا [1].

- ❖ أبو الفدا إسماعيل سلطان مدينة حماة، وله كتاب (تقويم البلدان) الذي يعد من أبرز المصنفين العرب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي [2].

ولم يقتصر أبو الفدا في حديثه على زنوج شرق أفريقيا، بل جاء بأخبار عن الزنوج الذين كانوا في البلاد العربية، فقد ذكر أنه في عام (242ه/856م) أغارت عصابة من زنوج زنجبار على الجزء الجنوبي من العراق، وأنهم استولوا على مدينة البصرتة ونهبوها، كما أكد النويرى أن جزءاً من جيش الخلفاء العباسيين ببغداد، كان مؤلفاً في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي من زنوج زنجبار.وفي القرنيين الثامن والتاسع الهجري/ الرابع عشر والخامس عشر الميلادي انصرف العرب عن الجغرافيا ووجهوا اهتمامهم إلى الحديث عن العجائب، وفي وصف الغريب من حيوان البر والبحر وظواهره.

- ❖ شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) وقد نقل الدمشقي أخباراً عن عجائي البر والبحر وتحدث عن قنبلو، لكنه عنى بها جزيرة مدغشقر [3].
- ❖ عبد الرشيد صالح الملقب بالبغوي، وله كتاب (عجائب القدرة) وفيما ذكره شرق أفريقيا فقد تحدث عن جزيرة زنجبار، ولكنه أسماها بنجوية، ووصفها بأنها جزيرة كبيرة من بلاد الزنج، وجميع السفن التى تتاجر مع هذه البلاد ترسو فيها، وبذلك يمكن أن تعتبر جزيرة زنجبار في عداد الأمكنة التى ذكرها العرب في مصنفاتهم الجغرافية [4].
- ❖ سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي، الذي ظهر في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، في كتاب له بعنوان : (خريدة العجائب وفريدة الغرائب)، وقد نقل هو الآخر عن المسعودي، وذكر ابن الوردي أنه كلف من نائب السلطة قائد قلعة حلب شاهين المؤيد [5].

---

1 زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، 1399ه/1979م، بيروت، 1960م، ص22 ،23.

2 جمال زكريا قاسم ، نفس المرجع، ص187 ،188.

3 لوثروب ستودارد، نفس المرجع، ص272 ،273.

4 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص188.

5 كراتشكوفسكي، مع المخطوطات العربية، القسم: الأول والثاني، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة ، 1957،ص188.

وقد وصف ابن الوردي ساحل شرق أفريقيا من جردفون إلى موزامبيق، وذكر أن سكانه جميعهم من المسلمين، فيهم القاضي والإمام، ونقل ما أورده المسعودي عن بلاد الواق واق، وعجب لكثرة ما بها من ذهب، وفي الواقع أنه يوجد اختلاط عن سمى آخر لابن الوردي، ظهر في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

- ابن خردذابه، ويدعى زيد الدين أبي حفص بن الوردي [1]، وجميع مؤلفاته وأشهرها كتاب المسالك والممالك لا تعرف إلا من أسمائها فقط، إضافة إلى المقتطفات الموجودة لدى المؤلفين المتأخرين أو الإشارة إليها في المراجع المختلفة [2].
- ابن بطوطة، رحالة عربي له أهم أثر في القرن الثامن الهجري/ الرابع لاعشر الميلادي وهو كتاب سجل فيه رحلاته وأسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وقد بدأ ابن بطوطة رحلاته في عام (725ه/13324م) قاصداً الحج [3].
- وقد ارتحل ابن بطوطة إلى مناطق كثيرة في أفريقيا، والمهم في هذا المجال رحلته إلى شرق أفريقيا، والتى سافر فيها من زيلع إلى مقديشو، ممسبة، كلوة. والثابت أنه قام هذه الرحلة في عام (732ه/1331م)، ولعله بذلك يكون أول المنصفين العرب الذي يتحدث بإفاضة عن الإمارات الإسلامية المهمة في الشمال والجنوب من شرق أفريقيا، وقد يكون هو الوحيد الذي يقدم معلومات متصلة يمكن الاعتماد عليها عن تاريخ الساحل [4].
- وقد أورد ابن بطوطة بالتفصيل ذكر ثلاثة مراكز على الساحل الشرقي هى: مقديشو، كلوة، ممبسة. وحيث إن المسافة بين مقديشو وزيلع خمسة عشر يوماً. وتحدث عن ممبسة أيضاً، ولكن يبدو أن المدة التى قضاها وهى ليلة واحدة لم تكن كافيةللتعرف عليها، فلم يذكر عنها إلا أن سكانها شافي المذهب، وأن مساجدها من الخشب.وذكر ابن بطوطة امتداد كلوة إلى ممبسة إثر مصاهرة تمت بين البيتين الحاكمين، وبالرغم من أنه وصف كلوة بطريقة لم يصفها أحد قبله، إلا أنه لم يتحدث عن علاقات السلطنة من الناحيتين السياسية والتجارية بغيرها من المناطق، خاصة

1 جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 188 ،189.
2 كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص 155، 156.
3 نفس المرجع، ص426 ،427.
4 جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص189.

وأنها كانت في زمنه أهم مركز إسلامي، مع أنه أقام بالمدينة فترة كافية للتعرف عليها [1].

- والزمن الذي وصل فيه ابن بطوطة إلى ساحل شلرق أفريقيا هو نهاية الثلث الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث كانت معظم مناطق الساحل تنتمي إلى العرب [2].
- ابن ماجد، ومن المصادر المهمة كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) و (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) وقد ذكر في الفائدة العاشرة من كتاب الفوائد وصفاً لبعض الجزر، أهمها وصفه لجزيرة القمر، التى ذكر عنها أنه يتوالى على حكمها سلاطين الإسلام، وبها أربعون مسجدا.

وإلى جانب هذه المؤلفات الأراجيز التى لا تخرج أن تكون في جملتها مرشدت ملاحية لبيان طرق الملاحة، ومن أهم هذه الأراجيز الأرجوزة السفالية نسبة إلى سفالة في جنوب شرق أفريقيا، نجد فيها بيانات عن وصول البرتغاليين إلى جزيرة مدغشقر بقوله:

وخشب الإفرنج قد جاءوها وملكوها بعد أن غازوها

وربما تعين مؤلفات ابن ماجد في تاريخ شرق أفريقيا من ناحيتين:

الأولى: ما جاء به من إشارات عن وصول البرتغاليين إلى ساحل شرق أفريقيا.

الثانية: ذكره لبعض المناطق والمدن والجزر الموجودة على ساحل شرق أفريقيا[3].

- مخطوطة السلوة في أخبار كلوة، ويعاصر أحداث الغزو البرتغالي لشرق أفريقيا مخطوطة عربية قديمة، كتبت في ذلك الوقت، ولكنها فقدت ولم يصل منها إلا مقتطفات كتبت في عام (1294ه/1877م)، وقدمها السلطان برغش ابن سعيد هدية إلى السير جون كيرك [4] القنصل البريطاني في زنجبار. وقد زكاه لفنجستون للعمل في زنجبار، فعمل أولاً كطبيب ااوكالة البريطانية بها، ثم قنصلاً عاماً لبريطانيا بزنجبار، وقد استطاع هذا الرجل بحكمته وسياسته وأساليبه الخاصة أن يصبح القوة المحركة لسلطان زنجبار، أو كما يقول مارش كنجز نورث، كان

---

1 ابن بطوطة، تحفة الأنظار في عجائب الأمصار، ذكر فيه سلطان كلوة ومقديشو، ج1، القاهرة 1933. ص191.

2 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص191.

3 نفس المرجع، ص 195 ،196.

4 جون كيرك، ولد عام (1248ه/1832م)وكان طبيباً وعالماً في النبات، وقد رافق [illegible]ستون في رحلته للكشف عن نهر زمبيزي (1275 1280ه/1858 1863م)

يلعب دور رئيس وزراء السلطان لكن بصفة غير رسمية، وقد أصبح مديراً لشركة شرق أفريقيا البريطانية الإمبراطورية، حتى صفيت الشركة عام (1894م). ورغم أنه يتضح مما ذكره المؤلف في مقدمته أنها من مقدمة وعشر أبواب أورد فيها محتوياتها، وذكر أنه سيختم كتابه بولاية الملك العادل السلطان محمد بن حسن ابن السلطان سليمان بن السلطان محمد، وأنه صنف هذه المخطوطة بناء على طلب هذا السلطان فإن المخطوطة المنشورة تتوقف عند نهاية الباب السابع، وقد كثرت الأقوال حول الأبواب الثلاثة الباقية. فمن قائل إن المؤلف قد اضطر للتوقف عند نهاية الباب السابع، لأن الأبواب الثلاثة التالية كانت تتناول فترة السيطرة البرتغالية، وهى فترة حرجة لم يستطع المؤلف معالجتها بصراحة ودقة. ومن قائل إن الأمر يرجع لعدم العثور على النسخة الأصلية الكاملة للمخطوطة [1].

وقد أهدى كيرك بدوره هذه المخطوطة إلى المتحف البريطاني، وهى محفوظة هناك تحت رقم (666) وقد قام بتحقيقها آرثر سترونج ونشرها في عام (1313ه/1895م) [2]، وقد نسخت هذه المخطوطة نقلاً عن أوراق الشيخ محي الدين الزنجباري قاضى زنجبار،(1279ه/1862م). وربما يكون هو نفس القاضى الذي تقابل معه الرحالة بيرتون Burton والذي حدثنا عنه في كتابه عن زنجبار، وقد ذكر كيرك في تدوينه معلومات عن هذه المخطوطة أنها مأخوذة من سنة الكلاوية. أما المخطوطة نفسها فتحمل اسم (السلوة في أهخبار كلوة)، والتى إذا صح ما ذكره كيرك عنها فإنها ليست إلا جزءاً من سنة الكلاوية.

وعلى هذا الأساس فإن محي الدين لا يكون مؤلف المخطوطة، وإنما مجمعها، خاصة وأن المخطوطة مليئة بالأخطاء اللغوية، ولا تطابق ما ذهب إلية بيرتون من فصاحة الشيخ محى الدين إذا كان محى الدين هو اضح المخطوطة فعلاً وكتاب السلوة على ذلك ليس إلا تجمعهاً حديثاً على حد ما ذكره السير أرثر سترونج Strong ، عند نشره لكتاب السلوة، وتقديمه له نقلاً عن الملاحظات التى أبداها كيرك [3].

ولابد من الإشارة هنا وقبل ختام المصادر العربية إلى أنه أوفى وأبعد ما كتب عن المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا (المجلة التاريخية المصرية) المجلد الرابع عشر (1968م).

---

1 جمال قاسم زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات الأفريقية العربية، القاهرة، 1975م، معهد البحوث والدراسات العربية للتربية والثقافة العربية، ص 196.

2 شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع، ص 50.

3 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص 196، 197.

أما عن المؤرخين الأجانب الذين تعرضوا للعلاقات العربية الأفريقية فلعل ما كتبه المؤرخ الإنجليزي تشيتيك (Chittick ) رئيس المعهد البريطاني للتاريخ والآثار بشرق أفريقيا عن كلوة كان من أحسن كتب هذه البلاد، كما أنه تعرض لبعض ما كتبه الرحالة والمؤرخون الآخروزن من العرب وغيرهم من شرق أفريقيا في دراسة مقارنة طيبة [1].

وقد تعرض غيره من الكتاب والمؤرخين الأجانب لدراسة تاريخ شرق أفريقيا وعلاقة العرب بهذه البلاد، وتأثيرهم الحضاري فيها لكن يؤخذ على أغلب الكتاب عدم التزامهم بالموضوعية في دراساتهم وفي عرضهم للأحداث وتحليلها. فالمؤرخ الإنجليزي جرانفيل فريمان Freeman-Granville) مثلاً ألف أكثر من كتاب عن شرق أفريقيا، أبرز فيه دور الهنود في هذه الجهات وقلل من شأن العرب رغم مخالفة ذلك للأمر الواقع [2].

كذلك شأن المؤرخ أوليفر رولاند (Oliver- Roland ) في كتابه عن تاريخ شرق أفريقيا وفجر التاريخ الأفريقي، حيث وصل الأمر إلى أنه رجح أن الإسلام وصل إلى شرق القارة عن طريق الهند، بعد أن انتشر هناك، وتجاهل تماماً جهود عرب شبه الجزيرة العربية في هذا المجال، رغم أن المنطق على الأقل يشير إلى غير ذلك [3].

وقد ركز بعض هؤلاء المؤرخين الأجانب على دور الفرس في شرق أفريقيا، وغلبوه على الدور الذي قام به العرب هناك، ومن هؤلاء المؤرخ المعروف كوبلاند [4].

وقد أكد إنجرامز Ingrams هو الآخر في كتابه عن زنجبار وجود كثير من المخطوطات في حوزة الأهالى، ولكنهم يحجمون عن تقديمها للباحثين.

وعلى الرغم من أنه لا يعرف اسم مؤلف كتاب سنة الكلاوية، فقد وردت في الجزء المأخوذ عن الكتاب بعض إشارات عنه، والتاريخ الذي وضعه فيه، ومن المعتقد أن يكون مؤلف سنة الكلاوية من الأسرة الحاكمة في كلوة، فقد تحدث عن بعثه شكلت لمفاوضة البرتغاليين ضمنها اثنين من أقاربه [5]. والواقع أنه لا يوجد من المصادر التاريخية المعاصرة للفترة ما يستحق الذكر. وربما أن انشغال المسلمين بالتحويل الجديد وبالحروب المستمر بينهم وبين البرتغاليين، وما تبع السيطرة البرتغالية من التدهور وانهيار الاقتصاد، وما تبعه من عزلة وجمود فكري، فضلاً عن ما تعرضت له الكثير من المراكز الإسلامية في

---

1 شوقي عطا الله الجمل: العرب أسسوا مدن شرق أفريقيا، ص 50 ،51.

2 شوقي عطا الله الجمل، العرب أسسو مدن شرق أفريقيا، نفس المرجع، ص51.

3 Roland,o; The History of East Africa (Oxford 1963) The Dawn of African History (Oxford 1969).

4 Copland Rrginald; East Africa and its Invaders from the Eeliest Times to the Death of seyid said 1856 (Oxford 1938).

5 حمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص198.

شرق أفريقيا من الحروب والحرق والتدمير،كل هذه النواحى لم تساعد المؤرخين العرب على الكتابة عن التاريخ هذه الفترة، التى ظلت مهملة بالنسبة للمصادر العربية. وعلى الرغم من أنه لا يوجد لدينا مصادر تاريخية معاصرة للفترة البرتغالية، فإن بعض التواريخ المحلية التى كتبت في فترة متقدمة، تتعرض لبعض التفاصيل عن ملابسات العصر البرتغالي في شرق أفريقيا،وقد ذكر أوين Owen في كتابه عن رحلته في شرق أفريقيا، أنه عثر على مخطوطة عربية مدونة في (28 شعبان 1293ه/1876م)عند أحد سكان ممبسة،وقد عرفت هذه المخطوطة باسم آل المزروعى في ممبسة [1].

وقد عنى جوليان Guillain بنقلها إلينا. وتتناول هذه المخطوطة الفترة من وصول البرتغاليين ،إلى ساحل شرق أفريقيا حتى العام الذي كتبت في. وهى بذلك يمكن أن تمد البحث بمادة مكملة لتاريخ كلوة، خاصة وأن كلوة كانت السلطنة المسيطرة على مدن الساحل، كما أن تاريخ آل المزروعى يفيد بمعلومات عن الاتصالات التى قامت بين كلوة والبرتغاليين [2].

سبق ذكر الأسباب والعوامل التى كانت تدفع العرب إلى الهجرة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا من جغرافية وبيئية ودينية وتجارية، كل هذه الأسباب مجتمعة كانت تسوق السفن العربية سوقاً إلى شواطئ الساحل الشرقي الأفريقي، لذا فقد كان الاتصال بين العرب وشرق أفريقيا قديماً وعلى مرحلتين: منها قبل الإسلام، ومنها ظل الإسلام.

## علاقات العرب بساحل شرق أفريقيا قبل الإسلام:

تجمع المراحل المختلفة على أن علاقة شبه الجزيرة بشرق أفريقيا بدأت في وقت مبكر ومنذ أبعد العصور وبغرض التجارة، ويصعب تحديد زمن بعينه كبداية لهذه العلاقات، لكن يرجع الاستقرار العربي الملحوظ في الساحل إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي [3] .فالنصوص الفرعونية تتكلم عن

---

1 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص203.

2 - Guillain, documents sur I, Hitore, Gejgraphi et Commerce de I, Afrique oriental Tome I Expose critiques de diverses Notion a cquises sur I, Afrique orientae pp. 614-622.

3 - Keltie, J.Scott:the partition of Africa (London 1895) p.10.
شوقي عطا الله الجمل،" المراكز العربية على ساحل أفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه" الوثيقة، العدد 29،
السنة 15،(شعبان 1416ه/يناير1969م)،ص 98. فوزى مكاوي: الصومال في العصور القديمة (بحث كتاب المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية) الكويت 1982م، أيضاً يوسف الخليفة، "أثر الخليج العربي والجزيرة العربية في ثقافة شرق أفريقيا"، الوثيقة، العدد السادس والعشرون،السنة الثالثة عشرة، محرم 1415ه/يوليو 1994م، ص26.

علاقة تجارية بين شرق أفريقيا ومصر في حدود القرن الخامس ق.م وقد سجلت أخبار زيارة تجارية في النصوص الصورية الفرعونية [1] .

ومن المحتمل أن السومريين أو الأكاديين قد وصلوا إلى تلك السواحل، فإن صلة السومريين في حوالى 2050ق.م بماجانا (عمان) ودلمون (البحرين) وملخا (عمان أو الحبشة) كانت ثابتة وأكيدة [2] .

وقد أكدت الآثار أن ساحل شرق أفريقيا تواصل مع حضارة بلاد النهرين منذ أيام سرجون الآكادى، الذي يحكم العراق حوالى سنة 1709ق.م.

فقد كشفت الحفريات عن نقوش سومرية وبابلية في شرق أفريقيا، ترجع إلى عهد العاهل العظيم، وتشير إلى وصول شعب وادي الرافدين إلى هذه الربوع [3].

وكلما تقدمت التجارة وازدهرت، وتقدمت فنون الملاحة، كلما زاد اتصال العرب بالساحل الشرقي، وفي أقدم نص ذكره المؤرخ الروماني بلينوس (70م)،حيث يشير إلى ملوك نبع في اليمن، عرفوا مناطق كثيرة من الساحل الشرقي الأفريقي وجزره، وكان لهم عليها شئ من النفوذ، وقد احتكروا تجارة بعض الأصناف كالطيوب والأفاوية، وحرموا العامة من الاتجار بها، واحتكروها لأنفسهم [4].

وذكرت مصادر أخرى أن بعض زعماء الساحل الشرقي لأفريقيا كانوا يدينون بالولاء لأمراء حمير في اليمن [5].

وتشير المصادر أيضاً إلى أنه في العصر الحميري الأول (115ق.م 300م) ارتحلت بعض العناصر العربية من اليمن وحضرموت إلى إثيوبيا، وكونت بعض المجموعات التى أصبحت النواة لمملكة أكسوم، حتى غدت أكسوم نواة الدولة الحبشية فيما بعد، ولم يقتصر نفوذ العرب الجنوبيين على الحبشة، بل توغلوا إلى جنوب وادي النيل الأوسط [6].

---

1 يوسف خليفة ،نفس الدورية ،ص26.

2 خولة محمد شاكر: العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الأفريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كلية الآداب، رسالة دكتوراه 1980م، جامعة بغداد، ص47.

3 محمد حسن الزبيدي، نفس المرجع، ص102، جعفر عباس حميدي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، عمان، دار الفكر، 2002م،ص23.

4 محمد حسين الزبيدي، نفس المرجع، ص102 ،103.

5 جورج فضلو حوراني، نفس المرجع، ص24.

6 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت (1324ه/1906م)، ص343،عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، القاهرة،1947م،ص24، أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة،ص126،125، جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، 1977، ص44 46، غيثان على جريس، تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام، 1993م، ص ١١٠ وما بعدها.

وبخصوص علاقة العرب ببلادشرق أفريقيا قبل الإسلام، يمكن أن نجمل القول إن هذه العلاقة اتخذت محورين:

**الأول:** هو علاقة العرب ببلاد الحبشة.

**والثاني**: هو اتصال العرب بشعوب أرض الزنج المطلة على المحيط الهندي أو بحر الهند [1].

فتدل المعلومات التى أوردها المؤرخون اليونان والرمان، على أن البلاد التى نعتوها بكلمة (إثيوبيا) تعنى المساحات الشاسعة الممتدة جنوبي مصر وأفريقيا غرباً إلى آسيا، وهى المنطقة التى تسكنها عناصر من ذوي البشرة المحترقة أو السمراء اللون أو الزيتونية اللون.

وكانت بلاد الحبشة معروفة للعرب، فقد كانت لقريش بها صلات وثيقة ومصالح في حروبهم القبلية وفي حراسة قوافلهم، كما كان بمكة عدد غير قليل من العبيد الأحباش أدرك بعضهم الإسلام وأسلم [2]. وقد أشار الطبرى إلى ذلك فقال:"إن أرض الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاعاً من الرزق وأفتاً ومتجراً حسناً" [3]. أما كلمة حبشة ومنها الأحباش، وهو اللفظ الذيجاء في اللغات الأجنبية (Abyssinnia ) فيرجع أصلها إلى قبيلة عربية (حبشت) التى عبرت البحر الأحمر مهاجرة من جنوب بلاد العرب، واستقرت في أفريقيا [4].

ويرجع أن ذلك قد تم في الفترة بين القرنين العاشر والسابع ق.م، والغالب أن الموطن الأصلى لهذه القبيلة هو بلاد اليمن، ولما كان اليمن قد حقق قدراً

---

1 حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية.(القاهرة، 1963م)، ص26، 27.
Coupland,op.cit.,pp.18 FF8 –Reush pp. 11,12,13,14,A-Alwihaji Hassam-
(the Arabian commercial Background in Prismatic time) IsIamic culture voLLXI-No-2 (1487)pp.78 FF

2 زاهر رياض، الإسلام في إثيوبيا (القاهرة، 1964م)، ص370. شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع، ص55.

3 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك،ج2 (القاهرة، 1916م)، ص382.

4 ورد في بعض المراجع العربية أن الحبش من نسل بن كوش بن كنعان ابن خام بن نوح، انظر معلومات أكثر في، جلال الدين السيوفي، أزهار العروس في أخبار الحبوش، مخطوط ومصور عن نسخة بالسكوريال،ميكروفليم رقم(27) تاريخ دار الكتب بالقاهرة: عبد الرحمن الجوزي، تنوير النبش في فضل السودان والحبش، مخطوط ومصور عن نسخة بلاسكوريال ميكروفليم رقم (29) تاريخ دار الكتب بالقاهرة، الشاطر البوصيلي عبد الجليل، معالم تاريخ السودان ووادي النيل (القاهرة،1957م،ص7)، الحنفى القناني، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة)، عبد الحميد العبادي :(أحاديث قريش هل كانو عرباً أو حبشاً)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (1933م)،ج1،ص101، 102، غيثان جريس: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، تقديم ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية، 1414ه/1994م)ج1، ص11 وما

1

كبيراً من التقدم والعمران في ظل ملوك سبأ، وأصبحت كلمة الحبشة ترادف إثيوبيا [1].أما الحدود القديمة لهذه المنطقة فكانت تمتد من النيل غرباً إلى بحر القلزم شرقاً، ومن النوبة شمالاً إلى ما وراء خط الاستواء جنوباً، وبمعنى آخر فإن إثيوبيا أو الحبشة شملت في ذلك الدور ما هو معروف حالياً باسم بلاد السودان والحبشة وأرتيريا والصومال[2] .

**أما المحور الثاني:** فيدور حول علاقة العرب بالزنج، ومن المرجح كما ذكر سابقاً أن بلاد الزنج تشمل المنطقة الممتدة من رأس جردافوى في شمال الصومال إلى رأس دلجادو في موزمبيق أو سفالة في روديسيا، والتى يحدها من الشرق المحيط الهندي، ونهر زمبيزي من الجنوب، والبحيرات الكبرى من الغرب، والصحراء من الشمال. وبذلك تنفصل هذه المنطقة عن السودان والحبشة وغابات الكونغو. ويدخل تحت هذه المنطقة في الجغرافيا الحديثة: الصومال وكينيا وتنزانيا وموزامبيق، والتى تقع بين خطى عرض 12 درجة شمالاً و8 25 درجة جنوباً.

ويبدوا أن العامل الاقتصادي هو الذي دفع العرب لارتياد هذه المناطق قبل الإسلام فلما ظهر الإسلام نشطت الدعوة في بلاد شرق أفريقيا وتعاقبت بعد ذلك الهجرات العربية والإسلامية التى كان لها الفضل الكبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في تلك البلاد.

وهكذا تعددت دوافع الهجرات العربية إلى الحبشة وأرض الزنج ما بين دينية وسياسية، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي كان بارزاً في جميع الأحيان [3].

## تطور علاقات عرب شبه الجزيرة بشرق أفريقيا في ظل الإسلام:

بظهور الإسلام دخلت علاقات عرب شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا في مرحلة جديدة، فقد حدثت أسباب وداوفع أدت إلى هجرة جماعات من عرب

---

1 المسعودي: مروج الذهب، (القاهرة،1384ه/1914م)ج1،ص81، الشاطر بوصيلي عبد الجليل، نفس المرجع،ص7 وما بعدها، يوسف فضل حسن:دراسات في تاريخ السودان، ج1، جامعة الخرطوم، 1975م،ص3. عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب (القاهرة،1947م)، ص 167 169.

2 رسمت حدود الحبشة الحالية بمقتضى معاهدة أديس أبابا (1902م) بينها وبين السودان وذلك من ناحية الشمال والشمال العربي وحدودها الشمالية الشرقية أرتيريا والصومال. Trimingham. IsIam in Ethiopia (London,1962) pp.6,7.

غيثان جريس،الهجرات العربية، نفس المرجع، ص68، 69.

3 عبد الرحمن زكى الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا (المجلة التاريخية المصرية، المجلد 11،ص37)، حمدي السيد، الصومال (القاهرة،1950م)، ص36، مصكفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (القاهرة،1960)،ص5، غيثان على جريس، العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين الساسية والثقافية في ظل الإسلام، مجلة المؤرخ العربي (القاهرة،1993م)،ص129، غيثان جريس، الهجرات [illegible]ربية، نفس المرجع،ص69.

شبه الجزيرة العربية لشرق أفريقيا لا للتجارة فحسب، بل للإقامة الدائمة والاستقرار في هذه المناطق. وكانت أولى الهجرات العربية المعروفة إلى شرق القارة في فجر الإسلام، عندما جهر النبي صلى اله عليه وسلم بالدعوة، ناصب بعض أغنياء قريش الرسول العداء، ورأوا أن يوجهوا اضطهادهم إلى أنصاره عامةى وإلى المستضعفين خاصة، لاسيما مواليهم الذين وجدوا في الدعوة الجديدة مخرجاً لهم من ذل الأسر[1].

فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم على أنصاره أن يهاجروا إلى بلاد الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لهم مخرجاً مما هم فيه [2]. وكانت هذه الهجرة بقيادة جعفر بن أبي طالب حيث هاجر إلى الحبشة عشر رجال وأربع نسوة، ثم زاد عليهم عشرة رجال وأربع نسوة آخرون، ثم زاد المهاجرون إلى الحبشة، وأقاموا فيها ثم رجع بعضهم فيما بعد إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة، بينما بقى بعضهم في الحبشة إلى السنة السابعة للهجرة [3].

وقد أصبحت هذه الهجرات سنة للمسلمين في نزاعاتهم السياسية التى تلت أحداث الفتنة الكبرى وخاصة بعد مقتل عثمان ثالث الخلفاء الراشدين، حيث انقسم المسلمون شيعاً، وأحزاباً، بين المؤيد والمناصر لعلى بن أبي طالب، وبين مؤيد لمعاوية ابن أبي سفيان، ولجأ بعض الشيعة إألى الفرار بمبادئهم والهجرة من شبه الجزيرة العربية خارج نفوذ الأمويين المنتصرين إلى شرق أفريقيا واستقروا بها [4].

على الأوضاع السياسية في شبه جزيرة العرب كان لها آثارها على هجرتهم إلى الساحل الأفريقي المقابل، فحين اشتد التراع بين أحزاب المسلمين كانت بعض الأحزاب المغلوبة على أمرها تهاجر على شرق أفريقيا، فأثناء حكم عبد الملك ابن مروان هاجر عدد من العرب إلى (لامو) واستقروا بها، وأدت سياسة البطش التى اتبعها الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق إلى هجرة كثير من المعارضين لهذه السياسة إلى شرق أفريقيا. على أن عدداً من القبائل العربية هاجرت بعد ذلك، واستقرت في السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة، وتوالت الهجرات إلى هذه السهول. وبمضى

---

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ 1348ه،ط (بدون)، ج2،ص24، شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع، ص99.

2 الطبري، تاريخ الأمم والملوك، شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص99، سيد حامد حريز، نفس المرجع،ص12، جلال يحيى (تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، س24.

3 شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع، ص 99، 100.

4 شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص100، راشد البراوى: الصومال الكبير حقيقة وهدف (القاهرة، 1961م)، ص10 20،سيد أمير على، مختصر تاريخ العرب (القاهرة، 1967م)، ص261، غيثان ابن على ابن جريس، الهجرات العربية، ص 74، 75.

الوقت تحولت هذه المراكز الإسلاميةى المحيطة بهضبة الحبشة إلى إمارات أو سلطنات، أطلق عيلها المقريزى اسم ممالك الطراز الإسلامي [1] .

وقد أعطى ظهور الإسلام والجهر به دفعة قوية للعرب للخروج من شبه الجزيرة العربية لنشر الدين الجديد، ودعوة الناس للدخول فيه، وبالطبع كانت المناطق التى عرفها العرب وتعاملوا مع سكانها هى أول المناطق التى انطلقوا إليها، وهكذا أصبح التجار المسلمون دعاة للإسلام في شرق أفريقيا [2] .

والواقع أن الدعوة بالدين الإسلامي نشطت في إثيوبيا منذ ظهور الإسلام. ففى داخلها امتزج المسلمون بالوطنيين وصاهروهم،وأخذ الإسلام ينتشر فيها تدريجياً، فاعتنقة عناصر الساهو والعفر في شرق بلاد الحبشة [3].

أما الجزء المعروف بأرتيريا والصومال فالراجح أنه عرف الإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أشارت بعض الروايات إلى أن جعفر بن أبي طالب حينما خرج مهاجراً أسس في طريقه مراكز للدعوة في أريتريا والصومال بمساعدة القبائل العربية المستوطنة هناك وبلم يلبث أن أصبح الصوماليون من أكبر المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية، بل أن الصومال غذا بلداً إسلامياً منذ فجر التاريخ [4].

وقيل أنه دخل الإسلام فيها عن طريق الهجرات من جنوب الجزيرة العربية التى تشمل اليمن وحضرموت وعمان لأسباب سياسية هرباً من الاضطهاد أو بدافع نشر الدعوة [5]. وهناك محور آخر انتشر فيه الإسلام ذلك هو محور الشمال. وقد كانت دعامته القبائل الصومالية، التى حملت لواء الإسلام إلى القبائل التى تعيش في شمال كينيا والتى لا يزال الوجود الإسلامي فيها قائماً ملموساً حتى الآن [6].

---

1 المقريزى، الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص30، شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص100.

2 جمال زكريا،استقرار العرب في أفريقيا، ص286. محمد حسين الزبيدى،ص103، 104، شوقي عطا الله الجمل، ص100.

3 المسعودي، مروج الذهب،ج1،ص51 ،52، عيثان بن على بن جريس، نفس المرجع، ص69.

4 راشد البراوي: الصومال الكبير حقيقة وهدف (القاهرة،1961م)، ص10 20، سيد أمير على، نفس المرجع،ص261.غثيان بن على جريس: الهجرات العربية،ص74.

5 أحمد عطية الله: (القاموس الإسلامي) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة،1383ه/1963م)، مجلد5، 4، 3، ص366.

6 محمد محمود السرياني،(الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي دراسة لملامح الأقطار الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم) ج1، (1317ه/1997م) دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض، ص 286، 287.

ويقال إن ساحل كينيا قد استقبل أول هجرة له عام (76ه/695م) استقر سكانها في مدينة لامو إحدى مدن الساحل الكيني إلى الشمال من (ممبسة) [1] .وهى التى سبق الإشارة إليها أثناء حكم عبد الملك بن مروان.

**الهجرات العربية:**

## (1)هجرة سليمان وسعيد (بين 696 704م):

ويقال إنها سبقتها هجرة لم ترو أنباء مفصلة عنها، وأن هذه هى الهجرة الثانية، وتعتبر أول استيطان عربي عرفت عنه بعض المعلومات في أوائل القرن الثامن في أثناء حكم عبد الملك بن مروان نهض شعب عمان وموطنه الأصلى عند شاطئ الخليج العربي الفارسي وكان يحكمه زعيمان هما سليمان وسعيد بثروة ضد الخليفة، وقد نجح الثائرون في بداية الأمر، ثم تغلبت عليهم قوات الحجاج في عمان (76ه/695م) [2].

واضطر سعيد وسليمان إلى الفرار للنجاة بحياة رجالهم تاركين زطنهم، وهاموا في جموع من أسرهم وقبائلهم مولين وجوههم شطر الساحل الأفريقي، ولا يعلم تماماً أين نزلوا آنذاك على البر، ويتحمل أن يكونوا نزلوا في باتا في أرخبيل لامو [3]. وتعتبر هذه الهجرة حدثاً هاماً في تاريخ الهجرات العربية والإسلامية إلى أفريقيا الشرقية [4].

---

1 نفس المرجع، ص284، 285.

2 محمد محمود السرياني، ص284، 285.

3 عبد المنعم عامر: العمانيون وقلعة ممباسا سلسلة تراثنا، العدد9،ط3 (عمان وزارة التراث القومي والثقافي 1994م)،ص11، Copland,East Africa and its Invaders London 1968.p.20 عبد الرحمن زكى، نفس المرجع،ص38، مصطفى محمد سعيد، نفس المرجع،ص545، 546، جمال زكريا في الدراسة التى قدمها معهد البحوث والدراسات العربية، العلاقات العربية الأفريقية، دراسة للآثار السلبية للاتستعمار،1977م،ص16، غيثان بن على بن جريس،الهجرات العربية، نفس المرجع، ص75، سعيد حامد حرير، نفس المرجع ص13، عبد الرحمن زكى، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا،ص7، محمد حسين الزبيدى، نفس المرجع،ص105، 106، للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الله ابن خلفان بن قيصر، سيرة الإمام ناصر بن مرشد (جزء من مخطوطة مصورة بالميكرفيلم بدار المخطوطات بلندن برقم 2343، ونشرتها سلطنة عمان (1403ه/1983م)، عمان وتاريخها البحري، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الثانية،(1423ه/2002م)ص50، محمد محمود السرياني، نفس المرجع، ص284 285، حسن أحمدج محمد: انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص437.جميل عبد الله بن محمد المصري:حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، الجزء الاتول،ط6 (1422ه/2001م)، مكتبة العبيكان، الرياض، ص650.

4 محمد حسين الزبيدي، نفس المرجع، ص106.

## (2) هجرة الزيديين (133 143ه/750 760م):

وقد فرت الجماعة الثانية من مهاجري العرب إثر نشوب نضال بين الشيعة،وكان ذلك في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، عندما انشقت صفوف الشيعة إلى طائفتين متخاصمتين، وقد كان على رأس الطائفة الأولى زيد أكبر أحفاد الإمام على زوج بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأطلق على هذه الجماعة أهل زيد،وقد هزم رجال الخليفة تلك الجماعة في عام (11 123ه/729 740م)

وقتل زيد، واضطر أتباعه إلى الفرار، وجاء بعضهم إلى ساحل شرق أفريقيا، واستقروا عند ساحل بنادر (الصومال الشرقي) بالقرب من موقع مقديشو عن سنجايا، وكونوا دولة عاشت أكثر من مائتي عام. على أن الظروف اضطرتهم إلى الانسحاب من الساحل إلى الداخل بسبب مجئ هجرة عربية أخرى هى هجرة الأخوة السبعة [1] .

## (3) هجرة الأخوة السبعة من الإحساء (292ه/904م):

كان على رأسهم سبعة أخوة من ولاية الإحساء، جاءوا في ثلاث سفن، ونزلوا عند شاطئ بنادر، حيث شيدوا مدينتي مقديشو وبرادة (194ه/809م) فاصطدموا عام (301ه/913م) بجامعة الزيدية الشيعة، الذين انسحبوا إلى الداخل الأفريقي، ومن ثم رحب بالأخوة السبعة جماعات أفريقية في داخل الصومال وكينيا وهى جماعات قبائل الجالا، التى اعتنقت الإسلام على أيديهم [2]. وكنت بداية حركة الأخوة في مستهل القرن التاسع حوالي عام (301ه/913م) تمكنوا في فترة وجيزة على الاستيلاء على معظم أجزاء الساحل، وعلى الأخص ساحل بنادر الذي يشمل معظم بلاد الصومال المطلة على بحر الهند، وامتد نفوذ هذه الجماعة إلى جنوبي ممبسة،كما وصلوا إلى

---

[1] محمد محمود السرياني، نفس المرجع، ص285 286، عبد الرحمن زكى، نفس المرجع،ص38، حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا،ص437، شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص101، مجلة العلاقات العربية الأفريقية،(1978م)،ص47، محمد حسين الزبيدي، نفس المرجع،ص106، حمدي السيد، الصومال (القاهرة،950م)،ص 350، غيثان بن على بن جريس، الهجرات العربية،نفس المرجع،ص75، 76،راشد البراوي: الصومال الكبير، نفس المرجع، ص10 20، سيد أمير على، نفس المرجع، ص261، غيثان جريس، الهجرات العربية، ص74، 75، مصطفى محمد مسعد، نفس المرجع، ص546.

[2] غيثان بن على بن جريس، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية،ج2، (الإسكندرية/ دار السماح للطباعة، 1997م)،ص262، 263، قبائل الجالا من أكبر القبائل في الصومال في الوقت الحاضر، انظر: حمدى السيد: الصومال (القاهرة،1959م)، ص350.عيثان بن على بن جريس، الهجرات العربية، ص75، 76. نقلاً عن: شوقي عطا الله الجمل، ص101، عبد الرحمن زكى، نفس المرجع، ص3. Coupland: op.Cit,pp.21

جزيرة مدغشقر، ولم تمضى فترة وجيزة حتى أصبح ساحل الصومال شافعياً على المذهب السني [1]

وهكذا تمكن هؤلاء الأخوة السبعة من تكوين دولة قوية عاصمتها مقديشو استمرت من عام (301 365هـ/913 975م)، حيث وصلت جماعة إسلامية أخرى قضت على تلك الدولة، وكانت هذه الجامعة الجديدة فارسية، كونت لها دولة استمرت منذ ذلك التاريخ حتى ظهور البرتغاليين على الساحل الأفريقي عام (884هـ/1497م) [2].

## (4) هجرة حسن بن على وأبنائه الستة (365هـ/975م):

يتلخص تاريخ حسن بن على الذي جاء إلى الساحل الأفريقي بصحبة أبنائه وعدد كبير من أتباعه، بأنه كما قيل كان ابن سلطان شيراز في فارس أو أنه كان السلطان ذاته ولا تعلن الأسباب التى أدت به إلى مغادرة شيراز. وفي عام (365هـ/975م) وصلوا في سبع سفن تباعاً، ونزلوا في عدة أماكن على الشاطئ الشرقي، واحده منها في ممبسة، وثانية في بمبا، وثالثة في جوهانا، ورابعة في كلوة، وهى التى استوطنها حسن بن على، وأقام فيها المدينة الإسلامية، خضعت المافيا له [3].وعلى إثر وصول تلك الجماعات، بدأ الأهالى من الأفريقيين يدخلون تدريجياً في الإسلام، ومن ثم استوطن العرب إقليم سفالة جنوبي موزامبيق بين عامي (298 617هـ/910 1220م). كما انتشر هؤلاء النمسلمين في جزيرة مدغشقر لا سيما في الشمال الشرقي والجنوب الغربي وتكون من العرب والأفريقيين الملايو سكان مدغشقر الجنس الملجاشي، وعلى مر الأيام أوغل عرب الشاطئ الأفريقي في أنحاء المناطق القريبة المحاذية للساحل، وشقوا طريقهم إلى الحبشة وإلى أوغندا وتنجانيقا وإلى نياسالند.

ومن المدن التى شيدها العرب على الساحل الشرقي: ماليندى وممبسة وزبجبيار وكلوة وسفالة وغيرها من المستوطنات [4] .

## (5) غزوة آل النبهاني (600هـ/1203م):

وفي القرن الثالث عشر الميلادي قام من عمان سليمان بن سليمان المظفر البنهاني على رأس أتباعه الكثيرين، وقصدوا جزيرة باتا، ثم تزوج من ابنة الزعيم السواحلى حاكم باتا، ومن ثم آلت السلطنة إلى البنهاني فأسس الأسرة النبهانية، التى تولت حكم شطر كبير من الساحل الأفريقي حتى القرن الثالث

---

1 سيد أمير على، نفس المرجع، ص261 266. غيثان جريس: الهجرات العربية، ص76.

2 المقصود بتلك الدولة الإسلامية هى إمبراطورية الزنج الإسلامية التى تعرف في المصادر أيضاً باسم سلطنة كلوة في تنزانيا حالياً، غيثان جريس: الهجرات العربية، ص76.

3 عبد الرحمن زكى، نفس المرجع، ص39، مصطفى محمد سعد، ص548.

4 نفس المرجع، ص39، 40، نفس المرجع، ص549.

عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادي [1]. كما ضمت إلى نفوذها كما سبق ذكره معظم الساحل مثل قسماتو، وبراوة، ومقديشو وظلت تحكم بات حتى عام (1158ه/1745م) [2].

وهكذا يتضح أنه في المدة التى توسطت وصول حسن بن على (1395ه/1975م) ووصول البرتغاليين عام (904ه/1498م) وهى قرابة خمسائة سنة أطلق على الساحل بلاد الزنج، حيث تنأثرت فيه المدن والمستوطنات الإسلامية، وازدهرت في تلك الحقبة دويلات من أصل عربي أو فارسي، ونشأت سلطنات، وكان لدولة كلوة الشيرازية العربية السيادة. وفي خلال تلك المدة ازدهرت تجارة العاج والذهب والرقيق بين الشاطئ الأفريقي وآسيا، واتسعت المدن التى اقتبست الطابع العربي، وبلغت مستوى رأقياً في الحضارة، ويشهد بذلك ما سجله العرب والبرتغاليون وغيرهم في مؤلفاتهم [3]. عن مظاهر هذه الحضارة والرقي الذي تبدي في مجالات عدة من ثقافة ومظاهر ومظاهر عمران وغيرها.

## أثر الهجرات العربية على ساحل شرق أفريقيا:

كان للهجرات العربية التى سبق ذكرها آثار في نواح عدة في البلاد التى استوطنوهم. وقد تبدت هذه الآثار في:

- أن العرب هم أول من قام باستكشاف البلاد الواقعة جنوبي باب المندب حتى سفالة وإلى أقصى ساحل شرق أفريقيا جنوباً، ومن ثم وصلت بعدهم باقي الأمم إلى تلك البلاد فضلاً عن أن نزول هذه الأمم إلى تلك المنطقة كان مؤقتاً، بينما تواصل وجود العرب فيها [4].
- كان للعمانيين صلات ترجع لأزمنة قديمة بشرق أفريقيا، توطدت فيها علاقاتهم، وذلك بفضل التعامل التجاري، وانتشار الإسلام،

---

1 عبد الرحمن زكى، نفس المرجع،ص40، عبد الرحمن زكى، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا،ص119، نقلاً عن: محمد حسين الزبيدي، نفس المرجع،ص109، محمد محمود السرياني، نفس المرجع، ص285، 286، جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية،معهد البحوث والدراسات العربية، المنصة العربية للتربية والثقافة 1975، ص61، 62.

2 محمد حسين الزبيدي، نفس المرجع، ص109، مصطفى محمد مسعد، نفس المرجع.ص55، جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص59.

3 عبد الرحمن زكي، نفس المرجع، ص40.

4 عبد المنعم عامر، نفس المرجع،ص9، غيثان بن على جريس، بحوث في التاريخ، نفس المرجع،ص49، مصطفى محمد مسعد، نفس المرجع،ص55،أحمد إبراهيم دياب، نفس المرجع،ص51: Coupland,East Africa and its Invaders, London 1968 p.15.

وتدفق الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا للظروف السياسية والدينية [1].

- يعود الوجود العربي، والخاصة العماني في منطقة ساحل شرق أفريقيا إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، رغم أنه من المحقق أنه كان هناك صلات قامت قبل هذا التاريخ بكثير، على أن بداية التواجد العماني الرسمي والفاعل، لم يتأكد إلا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي [2].
- توصل العمانيون إلى إقامة أمارت عربية في ساحل شرق أفريقيا، فأنشأت قبيلة الحارث مدينتى مقديشو وبراوة حوالى عام (312ه/924م).
- تمتعت مجموعة الإمارات العربية في ساحل شرق أفريقيا بالبعد عن خصومات الدولة الإسلامية العربية وصراعاتها الداخلية [3].
- مخر العرب عباب المحيط لأسباب متعددة، وكانت الحسنى والإقناع والتفاهم والتجارة أدوات التعامل بينهم [4].
- كانت صلة العرب بشرق أفريقيا أقدم وأعرق من صلتهم بغرب أفريقيا [5].
- يعتبر سكان مدن عدن والمكلا أكثر الشعوب في شبه الجزيرة العربية اتصالات بشرق أفريقيا [6].
- تعود العرب إن يلاقوا ترحيباً في ساحل شرق أفريقيا، حيث كانوا موضع ثقة سكانه.
- إن العرب الذين جاءوا من عمان وفارس "إلى شرق أفريقيا كانوا سادة المناطق الساحلية رغم الخلافات التى كانت مستمرة بينهم [7].

---

1 عائشة على السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا (بيروت، دارس القدس،1975م)، ص14.

2 حسن عبيد غانم غباش: عمان الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500ه/970م)، بيروت، دار الجديد، 1997م، ص188.

3 حسن عبيد غانم، نفس المرجع، ص188.

4 أحمد سويلم العمرى، الأفريقيون والعرب ، ص63.

5 إحمد إبراهيم دياب،الاستعمار الأوروبي ونتائجه على العلاقات العربية الأفريقية، أم درمان، معهد البحوث ودراسات العالم الثالث، ص51.

6 نفس المرجع، ص55.

7 عمان وتاريخها البحري، وزارة الإعلام في عمان، مسقط، 1399ه/1979م، نفس المرجع،ص50.

وهكذا تكونت مراكز استقرار عربية إسلامية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا، امتدات من سواكن على الساحل الغربي لبحر القلزم إلى مقديشو ومركة وبراوة في (الصومال)، وممبسة وماليندى (في كينيا حالياً)، وزنجبار وكلوة (تنزانياً حالياً) على المحيط الهندي [1]. وسوف يأتي ذكر هذه المدن والتعرف عليها في الفصل الرابع من البحث.

## المراكز العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا:

- بات:

هى جزيرة واسعة المساحة واقعة على الساحل الأفريقي الشرقي، وقيل إن اسمها اشتق من قبيلة الباتوية العربية التى استقرت فيها [2].

والأصل في تأسيس مدينة بات يرجع إلى عهد حكم الخليفة عبد المكلك بن مروان، حيث كانت إمارة عظيمة، آهلة بالبتا الأفريقية، حتى جاءت هجرة قبيلة بنى نيهان تحت قيادة سليمان بن سليمان بن المظفر النبهاني في أوائل القرن السبع الهجري/الثالث عشر الميلادي (601ه/1204م)، وكان لبات جيشاً قوياً مكنها من بسط نفوذها وسيطرتها على ساحل شرق أفريقيا [3].

- براوة:

تقع جنوب غرب مقديشو شمال نهر جوبا، وهى مدينة صومالية تبعد عن مقديشو بحوالى مئة وخمسين كم،تتصل بها وبغيرها من المدن بطرق برية طويلة، ويرجع أن تأسيسها يرجع إلى عرب الإحساء من قبيلة الحارث، الذين قدموا إلى الساحل في القرن (الرابع الهجري 308ه/الحادي عشر الميلادي 920م) وأسسوا مدينتي مقديشو وبراوة، ويبلغ عدد سكان المدينة حوالى خمس وثلاثين ألف نسمة تقريباً، يعملون في عدد من أوجه النشاط الاقتصادي [4] .

---

1 ذكرت هذه المراكز مرتبة في شمال إلى الجنوب أخرها سفالة في أقصى الجنوب وتقع قرب مصب نهر ريفيى جنوب نهر زمبيزي، وللمزيد من التفصيلات، انظر: يوسف مضل (انتشار الإسلام في سودان وادي النيل) ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة الأسلامية (الخرطوم 28يوليو1983م) بغداد،1405ه/1985م، ص25.

2 محمود محمد الحريري، ساحل شرق أفريقيا، دار المعارف، القاهرة،1986م،ص 108، 109.

3 عمر سالم بايكور،الإسلام والتحدي في أفريقيا، مطابع جامعة أم القرى. مكة المكرمة 1418ه،ص103، حسن أحمد محمد: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ط3 (المطبعة المحمدية،1984)،ص7.

4 عبد الحكيم العفيفي، موسوعة مدينة إسلامية،الدار العربية للكتاب، القاهرة،ط1، 1421ه/2000م،ص105.

- بمبا:

وهى في بحر الزنج مقابلة للساحل الأفريقي[1] .تقع على ثلاثين ميلاً شمال جزيرة زنجبار، ويفصلها عن الساحل قناة مائية، تبلغ عرضها من خمسة وثلاثين إلى أربعين ميلاً، وتسقط عليها الأمطار بغزارة، مما أتاح فرصة لازدهار الزراعة فيها. وقد أطلق عليها بعض الكتاب اسم الجزيرة الخضراء، ومن أهم محاصيلها القرنفل [2].

- زنجبار:

أو زنزيبار،أو زنزبار، كلمة فارسية: (زنزي: بمعنى زنج، وبار: أى الساحل الزنج) ويقال لها باللغة السواحلية (انغوجاء)، بمعنى (انغو:أى المنسق، وجاء: أي امتلأ، وهذه الجزيرة تقع في المحيط الهندي وتبعد عن البر الأفريقي خمسة وعشرين ميلاً، ومائة وثمانية عشر ميلاً عن جنوبي ممباسا. ونحو ألفين ومئتين ميلاً عن مسقط، وسبعمائة وخمسين ميلاً عن مدغشقر[3] .

يفصلها عن الساحل الشرقي لأفريقيا قناة صغير[4]. وهى عاصمة حزيرة زانزيبار التابعة لجمهورية تنزانيا الاتحادية، التى تقع على بعد حوالي 35كم شرقي الشاطئ وبداخل المحيط الهندي.

ويعود تأسيس المدينة للتجار العرب من سلطنة عمان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكان الهدف من ذلك أن تكون مركزاً لنشر الإسلام، ولتوسع التبادل التجاري في شرق القارة الأفريقية مع الجزيرة العربية والهند ولعظم شأن المدينة فقد اختارها سلطان عمان سعيد لتكون مقراً لسلطنة المزدهرة بوذلك في عام (1255ه/1839م)، وعدد سكان المدينة حوالي مئة وثلاثين ألف نسمة تقريباً [5].

- سفالة:

سفالة أو سفالا ميناء أقامها العرب على الساحل الشرقي لأفريقيا، وهى أقصى الموانئ العربية جنوباً،وتقع فرب مصب نهر زمبيزي، وقد استوطن العرب إقليم سوفالا بين سنتي (51و1220م).واليوم يسكن المدينة لالتى تسمى سوفالا الجديدة بضعة آلاف من السكان،وهى لا تزال تحتفظ ببعض آثارها الإسلامية القديمة [6].

---

1 المغيري، سعيد بن على بن جمعة، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ط2، المطبعة الشرقية، مطرح، عمان،1406ه/1986م،ص37.

2 عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، القاهرة،1965م، ص7.شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص110.

3 المغيري: نفس المصدر،ص73.

4 ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت،1984م،ج5،ص23. شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع،ص110.

5 عبد الحكيم العفيفي، نفس المرجع،ص262.

6 عبد الحكيم العفيفي، نفس المرجع،ص 115، 116.

- كلوة:

وقد ورد اسم كلوة في معاجم الجغرافيين العرب، فذكرها ياقوت الحموى في معجمه "كلوة" (بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء بلفظ واحدة الكلى) وعرفها بأنها مدينة بأرض الزنج [1].ويسميها شمس الدين الدمشقي "كلية زنج المسلمين" [2]. وذكر البغدادي في معجمه المختصر "كلوة" وقال أنها موضع بأرض الزنج [3] .

وكلوة جزيرة تقع جنوب جزيرة ما فيا وعلى بعد ألف ميل تقريباً شمال سفالة وقد وفد على الجزيرة في القرن الرابع الهجري وفد من شيراز على رأسه الحسن ابن على الشيرازى الذي أعجب بالجزيرة، وأبدى رغبته في شرائها من زعيمها، وقد كان له ذلك. وقد تطورت كلوة منذ ذلك التاريخ، واستطاع سلاطينها مد نفوذهم إلى بعض الجزر المجاورة، وقد وصل هذا النفوذ إلى زنجبار شمالاً وسفالة جنوباً[4] حتى أصبحت في القرن العاشر الميلادي أقوى الإمارات [5] .

- لامو:

تقع جزيرة لامو على بعد حوالي مئة وخمسين ميلاً شمال ممبسة إلى جنوب من براوة وشمال بتة على الساحل الأفريقي، شيدها العرب، ومن مميزاتها: أنها تقع على خط2 درجة جنوبي خط الاستواء على الجانب الشرقي من الجزيرة التى تحمل الاسم نفسه. وهذا الموقع يوفر للمدينة كل ما تحتاج إليه لأداء وظيفتها كدويلة تجارية، مواصلاتها عبر البحر الأحمر بواسطة السفن الشراعية.

---

1 الحموي، نفس المصدر،ج7،ص27،أحمد على أحمد محمد "كلوة وتاريخها وحضارتها من القرن العاشر1لى القرن الخامس عشر الميلادي"، رسالة ماجستير، القاهرة،1983م،ص27، ياقوت الحموي، نفس المصدر، ص478، 1177. محمد بن عمر الطيب بافقيه، (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) تحقيق: عبد الله بنن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1419ه/1999م.ص46.

2 الدمشقي، تحفة الدهر وعجائب البر والبحر،بطرسبورج، 1865ن،ص150. أحمد على محمد ،نفس المرجع،ص27.

3 البغدادي، مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، القاهرة،1955م،ج3، ص1137.

4 عبد الله مصبح الصوافي، السلوة في أخبار كلوة، نشر وتحقيق آرثر سترونج، لندن،1985م،ص414. شوقي عطا الله الجمل،نفس المرجع،ص112.

5 - السيد رجب حراز، أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوربي، القاهرة، دار النهضة ١١- ببة،1968م، ص166.

وقد تعرضت لامو لنكسة في التجارة البحرية القديم، نتيجة تأسيس خط صيد (ممبسة)، الذي أثر على اقتصادها تأثيراً سيئاً [1].

- مقديشو:

من أهم المراكز التى أسسها المهاجرون العرب على الساحل الشرقي للقارة، وتشير المراجع إلى أنه في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (308ه/920م) هاجرت جماعة من قبيلة الحارث العربية من إقليم الإحساء على الخليج العربي في ثلاث سفن، ونزلوا على ساحل بنادر، وأسسوا مدينتي مقديشو وبراوة [2].

وارتفع شأن مقديشو بعد وصول العرب إليها، وظلت من أقوى مدن الساحل لمدة ستين عاماً تقريباً،حين جذبت مدينة كلوة في الجنوب منها الأضواء. ومقديشو مدينة في الصومال، وهى العاصمة، تقع في جنوب شرق البلاد، وتتصل بمدن الصومال الأخرى بطرق موصلات برية طويلة، وقد حضن العرب المدينة وميناءها، وحولوها إلى مركز تجاري هام في شرق أفريقيا، وفي عام (904ه/1498م) ضرب البرتغالي فاسكودى جاما المدينة بالمدافع، ولكنه فشل في احتلالها، ويبلغ عدد سكان مقديشو حوالي ثمانين ألف نسمة تقريباً [3]. وقد تضاربت الآراء حول تفسير اسم مدينة مقديشو. فقد قيل أن الاسم مكون من كلمتين (مقدو شاه)، أى المكان الذي اختاره الحاكم مقراً لحكمة، إضافة إلى ما ذكر سابقاً عنها [4].

## الغزو البرتغالي لساحل شرق أفريقيا

لم يكن البحث العلمي هو الهدف الرئيسي من الرحلات الاستكشافية الجغرافية، التى قامت بها البرتغال في مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وإنما كان وراءها أطماع ومقاصد عدة منها دينية: تمثلت في الحقد الصليبي الدائم على المسلمين انتقاماً لطردهم من الشرق في الحروب الصليبية. وأطماع اقتصادية استتثاراً بتجارة التوابل العالمية، وانتزاعها من أيدي العرب المهيمنين عليها. إذاقة إلى أطماع أخرى. لهذا كانت هذه الرحلات الاستكشافية الجغرافية مقدمة للغزو البرتغالي لساحل شرق أفريقيا والخليج العربي وشبه الجزيرة العربية.

---

1 عصام عيسى غيدان،"العرب في بلد السواحل الأفريقية" العربي،العدد168، رمضان (1392ه/نوفمبر1972م)، ص170.

2 شوقي عطا الله الجمل: المراكز العربية على ساحل أفريقيا الشرقي والجزر القريبة فيه، الوثيقة، العدد التاسع والعشرون، السنة الخامسة عشرة ، (شعبان 1416ه/1996م)، ص106.

3 عبد الحكيم العفيفي: نفس المرجع، ص463، 464.

4 شوقي عطا الله الجمل، نفس المرجع، ص107.

وقد قوبل هذا الغزو بمقاومة وصراع طويل بين البرتغال والدولة الإسلامية (العثمانية المملوكية الصفوية) والإمارات والدويلات الإسلامية في الخليج وساحل شرق أفريقيا.

ويجدر قبل الحديث عن هذا الغزو والصراع موضوع البحث في هذا الفصل إعطاء فكرة عن أحوال الشرق الدينية والسياسية في أوائل القرن العاشر الهجرى استكمالاً للصورة التى كانت عليها هذه الدول الإسلامية من الضعف والتفكك والانقسام، والتى كانت من العوامل التى ساعدت البرتغاليين على بسط نفوذهم على الجليج وساحل شرق أفريقيا.

## أحوال الشرق العربي قبل الغزو البرتغالي:

لقد طرأت تغيرات على أوضاع الشرق الدينية والسياسية في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وكانت الدولة الإسلامية من التفكك والصراعات، بحيث صارت في ضعف يفسح المجال لأي غزو استعماري في السيطرة عليها.

**وقد تمثلت هذه الصراعات في نواح عدة:**

1 كانت القاهرة مقر السلطة القديمة بأيدي المماليك السنة، ومنهم السلطان قنصوه الغورى، الذي تولى الحكم عام (906ه/1500م) كما كان الخليفة العباسي يقيم في القارهرة دون أن تكون لع سلطة حقيقية، وإنما وجوده يمثل نوعاً من الدعم، الذي يعزز شرعية حكم المماليك، الذين كانوا في صراع مستمر مع الدولة العثمانية.

2 وكان السلطة العثماني بايزيد الثاني يحكم استانبول على رأس قوات الأتراك وهم من أهل السنة أيضاً وكان قد أعد جيشاً قويا[1]،جعل الأولوية فيه للمدفعية وسائرالأسلحلة النارية،أراد به التوسع في فتوحاته نحو الشرق حيث الدولة الصفوية،ونحو الجنوب للهيمنة على مكة والمدينة، ومن ثم الاتجاه نحو المحيط الهندي.

3 أما أعظم حكام الأسرةالصفوية في إيران وهو الشاه إسماعيل (905 913ه/1499 1524م)فكان يركز قوته في شمال البلاد، بعيداً عن منطقة الخليج، حيث تعرضت بلاده للغزو العثماني بعد الكارثة الكبرى التى حلت به في موقعة جالديران عام (919ه/1514م) وسقطت تبريز العاصمة في أيدي العثمانيين فترة من الزمن[2].

---

[1] انطونيو ديازفارينها: البرتغال العرب والمسلمون في عصر الاستكشاف البرتغالي، الوثيقة، العدد20، السنة10، رجب 1412ه، يناير1992، ص81.

[2] صلاح العقاد: التيارات السياسية في الجليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1974، ص11.

4 ومن المعروف أن المذهب الشيعي كان يؤجج الصراعات بين الدولتين العثمانية والصفوية،وذك أن الشاه إسماعيل جعل المذهب الشيعي مذهب الدولة، ولابد أن يكون سكان الخليج قد تأثروا بهذا الصراع الطائفي، الذي كان له شأن كبير، إذ تطلع أهل السنة إلى الدولة العثمانية،في حين تطلع الشيعة إلى الدولة الصفوية،وأضاف هذا انقساماً حديداً بجانب الانقسامات السياسية والقبلية التى أضعفت قدرة المسلمين في التصدى لأى غزو أجنبي [1].

5 أما ساحل شرق أفريقيا فقد اتجهت إليه العديد من الهجرات العربية من الجزيرة، ونشأت علاقات تجارية بين العرب والأفارقة سكان البلاد الأصليين،وأسسوا فيها إمارات ومدناً، وتصاهروا، فأنتجوا العنصر السواحيلي، ونظراً لتقبل الأفارقة العرب بينهم،فلم يحدث بينهم أي مشاكل أو نزاع مما أدى إلى أن العرب لم يحتاجوا إلى قوة عسكرية، لأنهم كانوا مسالمين[2].

6 أما في الناحية الاقتصادية فكان العرب سكان جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، هم الذين يسيطرون على الطريق التجاري إلى الهند، إذ كانو هم الوسيط الوحيد الذين يوصلون سلع ساحل شرق أفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط [3].

**وكانت السفن العربية تسلك طريقين رئيسين هما:**

**الطريق الأول:** تنقل البضائع من الشرق الأقصى والهند، وتعبر الخليج العربي إلى رأسه ثم تنقل البضائع براً إلى حلب، فموانئ البحر المتوسط، ومنها تنقلها سفن البندقية إلى أوروبا.

**الطريق الثاني:** كان يمر بالبحر الأحمر، فالقاهرة، فالبندقية.

ويتفرغ عن هذين الطريقين طرق ثانوية،من أهمها طريق شرق أفريقيا، وكان العرب يسيطرون على كل الموانئ المهمة على طول هذه الطرق، وقد أثرى تجار العرب وتجار البندقية من هذه التجارة ثراء فاحشاً، وكان يعيش على هذه التجارة فئات كثيرة غير التجار، كالبحارة، وعمال الموانئ، ورجال قوافل [4].

---

1 نفس المرجع، ص11.

2 رونالد أوليفر وجون فيج، موجز تاريخ أفريقيا ترجمة: دولت أحمد صادق، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ، ص109.

3 عبد الرازق محمود المعاني، التجارة والملاحة في الخليج العربي خلال القرن السابع عشر، الشارقة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، 2001م، ص35.

4 محمود السمرة، الصراع بين العرب والبرتغال في القرن السادس عشر في شبه الجزيرة العربية،مجلة العربي،العدد 89، لعام 1963م، ص132.

لهذا كان اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فيما بعد ضربة اقتصادية للعرب ولتجارة البندقية حيث قضى على سيطرتهم في التجارة العالمية.

## العلاقات البرتغالية مع الشرق:

جاءت العلاقات البرتغالية مع الشرق نتيجة لمحاولات تمت في مطلع القرن العاشرالهجري/السادس عشر الميلادي، من قبل البرتغاليين، ليحلوا محل الإيطاليين في العلاقات التجارية،حيث كان للإيطاليين الدور الأبرز كوسطاء تجاريين بين آسيا وأوروبا [1] .

كما أن الدول الأوروبية البرتغال خاصة فكرت في الوصول إلى تجارة الشرق، عندما ارتفعت أسعارها في القرن الثامن الهجري/الرابععشر الميلادي،حينما احتكر المماليك حكام مصر في هذه التجارة [2].

وقد سبقت الإشارة إلى أن أهم طرق التجارة، قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان طريقي البحرين الأحمر والمتوسط والخليج العربي، وكان هذان الطريقان غالباً ما يتعرضان للتعطيل بسبب الصراعات السياسية والمحلية والخارجية،مما يقطع بالتالي الطريق أمام القوافل التجارية الذاهبة إلى أوروبا أو إلى الشرق، لذا فقد فكر البرتغاليون للوصول إلى الهند والشرق الأقصى بعيداً عن هذين الطريقين [3].وفعلاً فقد تمكنوا من تثبيت أقدامهم على سواحل الهند في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ومن ثم وجدوا أن بقاءهم في الهند غير مجد بدون السيطرة على المحيط الهندي والخليج العربي. ورغم القوة الهائلة التى حققت لهم هذا الهدف، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوقفوا حركة الملاحة العربية في هذا المحيط [4]. ولم يتمكنوا من منع التجار العرب من الوصول إلى مناطق إنتاج التوابل، فوجدوا أنه من المفيد السيطرة على الخليج العربي أيضاً، حتى يستكملوا إحكام السيطرة الكاملة على منطقة الشرق [5] .

ومن الجدير بالذكر أن البرتغاليين لم يستطروا على الشرق بأرضه وسكانه بل على بحاره بناء على تفوقهم الملاحي،إذ كان تأثيرهم على البر غير مباشر،وقائماً على التحكم في المعاملات التجارية مع البلاد التى يمرون بها، إضافة إلى بيع الأسلحة والعتاد العسكري للأطراف المتنازعة. وتجدر الإشارة

---

1 سامي أعظمى:المستعمرات البرتغالية ونار الثروة التى تبشر بالحرية،مجلة العربي، العدد159، فبراير 1972،ص86.

2 عبد الرازق محمود المعاني،نفس المرجع،ص35.

3 -LORIMER .J.G. Gazeheeraf the Gulf, Oman and Central Arabia.2 vol,Calecutta.1915.P.I.

4 خالد الوسمي، تاريخ عمان الحديث، دراسة في العلاقات الإقليمية والدولية 1904/1789م،الطبعة الأولى، 1425ه/2004م، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ص67، 68.

5 خالد الوسمي، نفس المرجع،ص67.

إلى أنهم كانوا يشترون الخيول من جزيرة العرب لاستخدامها في الحروب الجارية في شبه القارة الهندية.

وكانت جزيرة موزامبيق باباً وانفتح على مصراعيه أما البرتغاليين، حيث دخلوا منه إلى حضارة منطقة المحيط الهندي بطوائفها الدينية المتنوعة، هذه الحضارة التى كانت سبباً في انتشار الإسلام في تلك الأقطار، خاصة عن طريق التجار الذين كانوا يتاجرون بالعطور الرائعة والتوابل النادرة، التى كانت تلبي الميل إلى الترف، وتتفق مع الذوق الأوربي، وبعد أن نفذت هذه التوابل لديهم ومنذ سفر (فاسكو دي جاما)[1] إلى الشرق، أصبح البرتغاليون ينقلون هذه السلع التى كانت علامة على التمدين [2].

وقد كان للتدخل البرتغالي دور في تغيير سير الأحداث في بعض الأماكن من الساحل الأفريقي، مثلما حدث في الحبشة التى كانت مهددة بالسقوط تحت هجوم العرب المسلمين، فجاء (دون كريشتوفا وداغاما) على رأس جيش لدعم (بويست جوان) المسيحي ضد المسلمين، وقد مكنته هذه المساعدة من الأنتصار عليهم، مما أبقى على وجود تلك المملكة المسيحية وسط منطقة نفوذ المسلمين [3].

كما شكلت سيطرة البرتغاليين على بحار الشرق حاجزاً في وجه توسع الأتراك نحو الجنوب، ومن جهة أخرى قام الشاه إسماعيل الصفوى بتنظيم الدولة الفارسية بعد هزيمته أمام الأتراك في معركة جالديران كما سبقت الإشارة وتعاون مع البرتغاليين ضد الاتراك في وجه توسعهم نحو الشرق، أو نحو المحيط الهندي.

وهكذا فقد كان قدوم البرتنغاليين إلى المحيط الهندي ذا أثر فادح على العرب، إذ شل اقتصادهم في سواحل أفريقيا وجزيرة العرب والبحر الأحمر وشمال المحيط الهندي، بل إنه هو الذي سهل القضاء على دولة المماليك في مصر حين عجزت عن حماية مياه المحيط الهندي حيث احتلها العثمانيون [4]. وبالتالي سهل سيطرة البرتغاليين على منطقة الشرق العربي (الخليج شبه الجزيرة العربية) ومن ثم منطقة ساحل شرق أفريقيا.

## الصراع بين العرب والبرتغال:

كان الأوربيون قد أدركوا بعد فشل الحروب الصليبية مدى اعتماد بلدان الشرق العربي على تجارة التوابل من الهند، ولهذا أخذوا يفكرون في غزو

---

1 فاسكو دي جاما،1469ه/1524م، قائد بحري ومكتشف برتغالي قاد أول حملة برتغالية من أوروبا إلى الهند، تعلم علم الفلك والملاحة، أصبح ضابطاً بحرياً عام 1492م،الموسوعة العربية العالمية،ج1، الرياض،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،1416ه/1996م،ص208.

2 انطونيو ديار فارينها، نفس المرجع، ص81.

3 نفس المرجع، ص 82، ص83.

4 محمود السمرة، نفس المرجع، ص132.

صليبي وذلك باكتشاف طريق آخر للتجارة تقوم به السفن الأوربية لشل حركة هذه الطرق التجارية، التى يعتمد عليها العرب والبنادقة في تجارتهم، وبالتالي يسيطرون هم على التجارة والاقتصاد العالمي كما ذكر سابقاً.

ويعتبر وصول البرتغاليين إلى الخليج العربي امتداد للنهضة الأوربية القومية، التى كان من أول نتائجها الاستكشافات الجغرافية بحثاً عن الثروة الخالية، ولقد تحكم في سياسة البرتغال هذه ثلاثة أمور:

- الانتماء القومي الذي يعطى دائما الفرد المنتمي إلى هذه الأمة نوعاً من الفخر والاعتزاز بالأرض والجنس.
- الدين الذي يمنح الإنسان مفهوم التضحية.
- الإطار الرئيسي الذي يصب فيه المدخلان السابقان.

وقد أنشأ البرتغاليون أسطولاً للتجارة مع سواحل أوروبا الغربية تحت قيادة الأمير هنري الملاح [1] ومن ثم توجهوا للإبحار بمحاذاة ساحل أفريقيا الغربي على المحيط الأطلنطي، تدفعهم في ذلك الرغبة في أن يصلوا إلى مملكة (القديس يوحنا)، وهو الاسم الغربي الذي كانوا يطلقونه على مملكة نصرانية في شرق أفريقيا لا يعرفون حقيقتها،إذ أن تبين لهم فيما بعد أنها مملكة الحبشة [2] فقد كانت تفاصيل رحلة (فاسكودي جاما Vasco da Gama) ماثلة للعيان وفيها تجربة اختلاطه مع المسلمين إبان سفره إلى الشرق عن طريق ساحل أفريقيا الشرقي، حيث تحدث عن وجود العرب في جزيرة موزامبيق وعن الحضارة التى يعيشونها.

وفي عام (893ه/1487م) طاف رسول برتغالي بالشرق يتجسس وهو بدرو دى كوفيلهام (Pedro da covilham) لدراسة هذه المنطقة العربية، فزارمصر وعدن ثم ذهب إلى قاليقوط وجوا في الهند، ثم إلى هرمز على المضيق بين خليج عمان وخليج البصرة ثم إلى سواحل أفريقيا الشرقية حتى سفالة جنوباً، ثم عاد إلى القاهرة حيث أرسل تقريره إلى ملك البرتغال عن تجارة المحيط الهندي، وقد حل هذا الرسول أيضاً لغز مملكة (القديس يوحنا) فقد عرف أنها الحبشة، ولم تعد تلك المملكة النصرانية تستأثر بالاهتمام الذي كان لها في نفوس الغربيين حيث كانت لا تزال غامضة مجهولة [3] .

وقد اقترح بعد ذلك مارينو سانوتو (Marion sanuto) إعداد أسطول للسيطرة على المحيط الهندي والبحار العربية ومهاجمة الموانئ العربية الرئيسية.

---

1 هنري الملاح، هو الابن الثالث لملك البرتغال (يوحنا الأول) (797 865ه/1394 1460م)وكان هنري شديد التعصب للمسيحية،واهتم منذ صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية.انظر: نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص73.

2 محمد الغول، الصراع بين العرب والبرتغال في شرق أفريقيا، مجلة العربي، العدد44، عام 1963م، ص99 ،100.

3 د سمرة: نفس المرجع، ص132.

ولما كانت المشكلة هى كيفية الوصول إلى البحار، حيث لم يكن طريق رأس الرجاء الصالح قد اكتشف بعد، فإن جيوم آدم (Guillaum Adam) اقترح بناء أسطول في هرمز لاحتلال جزيرة سوقطرة [1]، ومن هذه الجزيرة يتمكنون من قطع الطريق على السفن العربية الداخلة إلى البحر الأحمر أو الخارجة منه أو القادمة من شرق إفريقيا[2].

وفي الوقت نفسه كان البرتغاليون يجوبون المحيط الأطلس بحثاً عن مستعمرات بعد أن حالت أسبانيا بينهم وبين التوسع، وأخذ الأسطول البرتغالي يغير على شواطئ أفريقيا الغربية وينهبها، ويجازف في الوقت نفسه في الهبوط جنوباً على طول الساحل الأفريقي، حتى استطاع البحار دياز (Dias) أن يكتشف رأس العواصف الذي سمي فيما بعد رأس الرجاء الصالح وذلك عام (892ه/1486م) أى قبل ست سنوات من اكتشاف كولومبس لأمريكا.

وهنا بدا للبرتغاليين أن حلم القضاء على التجارة العربية في الشرق أصبح قاب قوسين أو أدنى، فأخذوا يعدون لحملات بحرية لهذا الغرض [3] .

وإذا كان اكتشاف أمريكا أمرا بالغ الأهمية بالنسبة للاستعمار الغربي، فإن اكتشاف رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرق أفريقيا وجزيرة العرب والمحيط الهندي دون عبور البحر الأحمر أو الخليج العربي كان مهماً لأوروبا، ليحقق هدف الاستعمار في السيطرة على التجارة العالمية، ويشل حركة التجارة العربية والاستئثار بخيرات الشرق الأقصى، أما بالنسبة للعرب فقد جاء اكتشاف رأس الرجاء الصالح ضربة قاضية على ثرواتهم بعد سنين من الهيمنة على التجارة العالمية، كما كان هذا الاكتشاف أشد إيلاماً للعرب من سقوط غرناطة في الأندلس، فقد كانت هذه المدينة آخر ما بقى من تركة تفتتت وضاع حافظها من زمن.

## دوافع البرتغاليين للدوران حول أفريقيا:

كان للبرتغاليين دوافع للدوران حول قارة أفريقيا تمثلت في نواح عدة دينية وسياسية واقتصادية.

- **الدافع الديني:**

يعد العامل الديني من العوامل التى شكلت أثرا فعالا في حركة الكشوفات البرتغالية، حيث إن القضاء على الوجود الإسلامي في الشرق والمحيط الهندي كان غاية يطمح البرتغاليون إلى تقيقها، وقد باركها بابوية روما [4]. ويرجع ذلك

---

1 سوقطرة: جزيرة تقع في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه جريرة العرب، وفي منتصف الطريق تماماً بين الخليج والبحر الأحمر، محمد الغول، نفس المرجع، ص99، 100.

2 محمود سمرة، نفس المرجع، ص134.

3 محمود سمرة، نفس المرجع، ص134 ،135.

4 عبد الحميد البطريق: التاريخ الأوروبي الحديث. دار النهضة العربية، بيروت 1977م،ص47. بشير محمود كاظم، حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها، الوثيقة، العدد12، السنة (6)، 1408ه/1988م،ص14.

إلى الحقد على المسلمين الذين كانوا يسيطرون على بلاد الأندلس والصراع الذي أدى إلى إخراجهم منها، وتشهد عليهم محاكم التفتيش التى أنشأوها آنذاك، وهذا الحقد الكبير جعل البرتغاليين يطاردون المسلمين لإبعادهم عن أوروبا نهائياً. وإمعاناً في مطاردتهم وبمباركة البابوية أراد البؤرتغال تطويق المسلمين من الخلف بالتعاون مع مملكة القديس يوحنا التى سمعموا عنها في أفريقيا حتى لا يفكروا بالعودة إلى الأندلس [1].

وكان البرتغاليون يطمحون إلى تغير دين الأفارقة المسلمين والوثنيين إلى المسيحية ويسعون إلى تنصرهم، إضافة إلى رغبتهم في تغيير ديانة الحبشة الأرثوذوكية إلى الكاثوليكية. وعندما فتح القسطنطينية محمد الفاتح العثماني (857ه/1453م) خاف البرتغاليون أن يمتد الإسلام إلى أوروبا، وأن يمنعوا منصري أوروبا من الوصول إلى آسيا. وقد فكر الفونسو دي البوكيرك (Al vanso De Albuqueruqe ) في مهاجمة مكة وبيت المقدس وتخليصهما من سيطرة المسلمين، كما عزم على نبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ليأخذه منه، ومن ثم يطلب من المسلمين فدية له كنيسة القيامة. ولكن الله ابتلاه بريح شديدة منعت أسطوله من التقدم في البحر ليتم ما أراده من مهاجمة المسلمين، إضافة ما رآه تفشئ الأمراض في جنده وملاحية فرج أدراجه خائباً ولم يتمكن من تنفيذ مخططه [2] .

- **الدافع السياسي:**

من المعروف أن المصلحة التجارية تحركها عادة القيادة السياسية، ومن ثم فإن استخدام الحس القومي والحس الديني وإثارتهما لخدمة المصلحة التجارية أمر سهل لأية قيادة سياسية ناجحة. وهذا ما اتبعته البرتغال في استغلال شعبها لهذه السياسة الاستعمارية، والدليل على ذلك أنه من خلال المعاهدات التى أبرمت بين البرتغاليين وموانئ الخليج العربي يعرف بسهولة الهدف الأساسي لغزو البرتغال للخليج، حيث يتضح بأى نص في المعاهدات التى أبرمها البرتغاليون مع العرب أنه كان يطلب منهم أن يتخذوا الدين المسيحى ديناً رسمياً، بل توجد نصوص كثيرة حول الضرائب والتجارة والسياسة. وكان المواطنون البرتغاليون يضحون بأنفسهم ويشتركون في الحملات الاستعمارية من أجل هذه السياسة معتقدين أن في هذا عزاً لقوميتهم ولدينهم [3].

- **الدافع الاقتصادي:**

يعد هذا العامل من أهم العوامل التى أوحت للبرتغاليين ببذل الجهود المتواصلة والمغامرات المكثفة من أجل الوصول إلى الشرق، حيث كاتن لديهم

---

1 حسن أحمد محمود، نفس المرجع، ج1، ص446.

2 فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ 93ه 711ه/1134 1720م،أأبو ظبى، منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1418ه/1997م، ص93.

3 عبد الناصر الوسمي: نفس المرجع، ص68.

رغبة شديدة في الاستئثار بالتجارة الشرقية، التى أصبحتى مورداً كبيرا تنعم به البلاد الإسلامية والمدن الإيطالية، بينما تصلهم السلع بأسعار مرتفعة لأنها تمر باحتكارات عدة ترفع من أسعارها وتجعلها تشح في بعض الأحيان في الأسواق الأوروبية.

ومن أجل ذلك سعت البرتغال جاهدة للوصول إلى الطريق البحرى الذي يربط بين أوروبا والهند وغيرها من الأقاليم الشرقيةى وذلك بالدوران حول قارة أفريقيا للاستعاضة به عن مسالك التجارة القديمة التى تمر من آسيا وشرق أفريقيا إلى أوروربا[1] .والتى كانت تتعطل أحيانا بسبب النزاعات في المنطقة كما سبقت الإشارة.

ومن خلال ذلك سعى البرتغاليون إلى تحقيق هدفين مهمين:

1 التخلص من احتكار المماليك المصرين والبنادقة للتجارة الشرقية والقضاء على الدعامة الأساسية التى يستند عليها اقتصاد مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية مع البندقية. ومن ثم تحقيقي الوصول إلى طريق جديد ليمر في البلاد الإسلامية، يحصلون من خلاله على المنتجات الشرقية بأقل الأثمان.

2 تعرض الاقتصاد في البلاد الإسلامية لحالة من الانهيار والتدهور وتعتبر البرتغال من أول الدول الأوروبية تفكيرا في الوصول إلى تجارة الشرق[2]. خاصة بعد أن اتفقت مع جنوة التى كانت تنافس البندقية في هذه التجارة، فشجعت جنوة ملوك البرتغال على إيجاد هذا الطريق في الدوران حول قارة أفريقيا، وفعلا فقد نجح البرتغاليون في تنفيذ مخططهم العدواني بعد معرفتهم لطريق رأس الرجاء الصالح في الوصول إلى الهند والشرق مباشرة ليحتكروا تجارته على اختلاف أنواعها كالتوابل والبخور والعطور والعقاقير الطبية والأقمشة الحريرية، وذلك بعد أن وصلوا إلى مراكز صنعها دون الاعتماد على المسلمين والبنادقة، وأخذوا ينقلونها إلى عاصمتهم لشبونة، ومن ثم يقوم التجار الأوروبيون بتوزيعها على أسواق أوروبا التى تحتاجها. وقد تمكنوا من تثبيت أقدامهم على سواحل الهند في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حينما أسسوا فيها حكومة، ومن أجل ذلك عملوا على تقوية مراكزهم التجارية في المحيط الهندي، ومنعوا سفن المسلمين من مزاولة نشاطها التجاري فيه، وقد كشفوا من خلال مواقعهم هذه أغراضهم الاقتصادية الإنسانية من خلال أعمالهم العدوانية ضد أهالى المناطق التى وصلوا إليها في

[1] عبد الحميد البطريق: نفس المرجع، ص41. بشير محمود كاظم: نفس المرجع، ص12.
[2] Olivere R- History of East Africa, London 1967.

عمليات النهب والسلب التى كان التجار المسلمون يتعرضون لها على أيديهم [1].

وقد عبر ملك البرتغال (عمانويل الأول 901 928ه/1495 1521م) الذي قامت في عهده أول حملة بحرية إلى الشرق حيث قال في خطبته: "إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق" [2].

## مكاسب البرتغاليين وأطماعهم الاقتصادية والدينية والسياسية في شرق أفريقيا:

لم تكن أفريقيا في البداية هدفا برتغالياً من الناحية الاقتصادية وإن كانت هدفاً دينياً وإنما كانت وسيلة للوصول إلى الهند [3].غير أن تفكير البرتغاليين تجاه أفريقيا قد تغيراً جذرياً بعد وصولهم إلى هناك، إذ رأوا فيه إنه يتيح لهم مزايا اقتصادية ودينية وسياسية، حيث إنهم وجدوا:

1 أن في المدن الإسلامية الساحلية إسلاما حضارياً ذا جذور عميقة، ونظماً سياسية وإدارية راقية فقرروا القضاء عليه.
2 أن في المدن الأفريقية الساحلية مجتمعات إسلامية ترفض الولاء لهم، فاضطروا إلى الشروع في نشر المسيحية بكل السبل، حتى يخلقوا لأنفسهم مراكز تدين لهم بالولاء، فأنشأو الكنائس ومدارس التبشير، وتدفق الجزويت على شرق أفريقيا، وكان في هذا طريق لتحقيق غاياتهم الدينية بنشر الدين المسيحي والقضاء على الإسلام.
3 أن المدن الساحلية تجارة راقية واقتصاداً مزدهراً، فقرروا السيطرة على هذه العمليات الاقتصادية.
4 أنهم بعد وصولهم استحوذتهم فكرة نقل الأفارقة كخدم وعبيد للنبلاء والأسر الأرستقراطية في البرتغال استرضاء لهم، أو مكافأة لمساهمتهم المالية في الحملات العسكرية والاكتشافية. وقد تطورت هذه العملية الاستغلالية البشعة فيما بعد إلى ما يعرف بتجارة الرقيق.
5 احتكروا تجارة السلع الأفريقية، وفرضوا على السكان عدم التعامل مع غير البرتغاليين.

---

1 السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن. القاهرة،1969م، ص46، بشير كاظم، نفس المرجع، ص 12، 13.
2 السيد مصطفى سالم، نفس المرجع، ص47، بشير كاظم، نفس المرجع، ص13.
3 عبد الرازق على عثمان: البرتغاليونت في شرق أفريقيا وطردهم منها، الوثيقة، العدد 14، سنة 7، جمادي الثانية،1409ه/1989، ص34.

6 أن وصولهم إلى شرق أفريقيا قد قلص المسافة بين أوروبا والحبشة مما يتيح لهم سهولة الاتصال بها والتحالف معها لتحقيق الآتي:

1 وضع المسلمين في شرق أفريقيا بين فكى كماشة، البرتغاليون من البحر الأحمر والحبشة من البر، وقد طبقوا ذلك في الحرب الحبشية الصومالية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

2 محاولة اشتراك قوتي البرتغال والحبشة معاً في الهجوم على العالم الإسلامي من الجنوب. وسعى البرتغاليون إلى تحقيق المشاريع الآتية:

1 اشتركهما معاً في ضرب مدينة السويس. باعتبارها مركزاً للعمليات العسكرية الإسلامية.

2 السعى لإقناع ملك الحبشة بقبول فكرة تحويل مجرى النيل ليصب في البحر الأحمر بدلا من المتوسط.

3 السعى إلى احتلال مدينة مكة حتى يمكتن القضاء على الإسلام.

4 احتياج الطريق الجديد بين أوروبا والهند إلى محطات وحصون لحمايته، ومن ثم فإن تزويد السفن التجارية والأساطيل البحرية البرتغالية بالمؤن اللازمة. كل هذا حتم عليهم البقاء في شرق أفريقيا.

وهكذا أهلت الظروف التى استجدت لدى البرتغاليين بعد وصولهم إلى شرق أفريقيا لاتخاذ الإجراءات اللازمة والتدابير الضرورية لاحتلال شرق أفريقيا وتحويله إلى مناطق برتغالية وبذلك بدأ الوجود البرتغالي في شرق أفريقيا[1].

## العوامل التى ساعدت البرتغاليين في السيطرة على شرق أفريقيا:

كان هناك عدة عوامل ساعدت البرتغاليين في بسط نفوذهم على شرق أفريقيا منها:

- أن الإمنارات العربية في ساحل شرق أفريقيا وجذوره كانت متفرقة، لم ترتبط مع بعضها ولم تتوحد في الحكم والسياسة. ويعود ذلك إلى الخلافات التى كانت في بلادهم والتى جاءوا منها سواء قبل الإسلام أو بعده، والتى كانت سبباً في هجرتهم من

[1] عبد الرازق على عثمان، نفس المرجع، ص35.

الجزيرة العربية إلى ساحل شرق أفريقيا. فالبطون التى ينتمون إليها مختلفة وكذلك المذاهب الدينية التى يتبعونها، فمنها الزيدية والأباضية والسنية. مذاهب شتى لا يمكن أن تتحد لسعة الخلاف بينهما. ويضاف إلى ما تقدم ذكره العامل الجغرافي المدن ساحل شرق أفريقيا الأمر الذي لم يساعد العربق على تأسيس نظام سياسي موحد [1].

- ومن الجدير بالذكر أن هذه الإمارات والمدن العربية في ساحل شرق أفريقيا قد سقطت بسرعةى تحت سيطرة البريطانية،لا لتفرقها وعدم توحدها في الحكم والسياسة فقط، بل لأن التجار العرب عندما أسسوا هذه الإمارات لم يتعرض الأفارقة على وجودهم، بل رحبوا بهم وصاهروهم وكانوا على وفاق معهم، فلم يكن لدى العرب القوة العسكرية التى يصدون بها الغزو البريطاني[2].
- استخدم البرتغاليون رجلاً أعدوهم لتنفيذ خطة السيطرة على الإمارات العربية على ساحل شرق أفريقيا فكانوا ضباطاً يتصفون بالقسوة والطمع، وخاصة أنهم شحنوهم بأن هذه الحرب باسم الصليب، وقووا لديهم الوازع الديني، وبث روح العداء للمسلمين.
- تزامن قدوم البرتغاليين مع خروج مجموعات من الزنوج من أكلة لحوم البشر داخل أفريقيا حيث هاجموا الساحل وما فيه من مدن، ومنها مدينة مبسة(998ه/1589م) وأخذوا يهاجمون الناس ويأكلونهم، فبدأ الناس يفرون منهم ويحتمون بالسفن الراسية على الساحل، وكان من بينها سفن برتغالية، ولكنها بدلاً من أن تحميهم فتحت عليهم نيران مدافعها تحصدهم حصداً [3] وكان هجوماً شرساً، أدخل الرعب في جميع مدن ومناطق الساحل حتى وصلت مالندى.
- لم تلق الإمارات الإسلامية في ساحل شلرق أفريقيا عوناً من الدول الإسلامية الكبيرة في ذلك الوقت العثمانية والصفوية

1 حسن أحمد محمود، نفس المرجع، ص428.
2 جمال زكريا قاسم، الأصوال التجارية للعلاقات العربية الأفريقية. معهد البحوث ولادراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة 197م ،ص70.
3 حسن أحمد محمود،نفس المرجع، ص432.

نظراً للعداء الذي كان قائماً بينهما وللخلافات المذهبية والأطماع التوسعية التى وصلت إلى حد طلب شاه الفرس معاونة البرتغاليين له ضد الدولة العثمانية وقد أخفق المماليك في مواجهة البرتغاليين لانشغالهم بهجوم العثمانيين على مصر ومن ثم سيطرتها على الأمو فيها سنة (923ه/1517م) [1] .

- ❖ استغل البرتغاليون فرصة الخلاف الذي كان ناشئاً بين مالندى وممبسة ليؤيدوا حاكم كالندى على منافسه شيخ ممبسة وأدت خطة البرتغاليين هذه ضد ممبسة لكراهتهم لها شعباً وحاكماً [2] .
- ❖ كان سكان الساحل من الجهل والاستكانة لأوضاعهم حتى أنهم لم يكونوا يميزوا بين السفن، فقد خرجوا في العديد من المدن لاستقبال السفن البرتغالية باعتبارها لدولة إسلامية.
- ❖ كانت كلوة هى الإمارة المسيطرة على الساحل الشرقي لأفريقيا حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، لكنها فقدت هذه السيطرة بسبب احتدام الصراع بين السلطة المركزية فيها وحكام المدن والجزر التابعين لها من أجل فك الارتباط بينهم ولحبهم حياة الاستقلال التى اعتادوها [3] وقد بدأت بعض الدويلات والمدن العربية تصارع كلوة التى سيطرت على الساحل بالقوة من أجل الفكاك من هذه السيطرة، فأضعف ذلك من قوة هذه الدويلات فصارت فريسة سهلة للبرتغاليين [4].
- ❖ استفاد فاسكو دي جاما من الخلافات الموجودة بين المدن فاتخذ من ملك مالندى صديقاً عزيزاً ضد ممبسة، مما سهل له الأمر السيطرة على الساحل كما سهل له الوصول إلى الهند وجنوب شرق آسيا، عندما أمده حاكم مالندي بملاح عربي ماهر هو أحمد بن ماجد [5] [1].

---

1 جمال زكريا قاسم، نفس المرجع، ص72 99.

2 نفس المرجع، ص75.

3 جعفر عباس حمدي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصرة، عمان ، دار الفكر، 2002م، ص30.

4 جعفر عباس حمدي، نفس المرجع ،ص30.

5 شهاب الدين أحمد المعروف باسم ابن ماجد الملاح، ولد في الجزيرة العربية وكان عبقرياً، ألف 30 كتاباً في البحرية، فصل فيها أصول الملاحة ووصف فيها الطريقة البحرية المعروفة, كوان ماكفيدي، ص122.

كل هذه العوامل مجتمعة ساعدت البرتغاليين في السيطرة على الساحل الشرقي للقارة الإفريقية وقد نتج عن هذه السيطرة أحداث عظيمة في ثورات الدويلات والإمارات الإسلامية في تلك المنطقة، وسيتبين ذلك فيما سيأتي.

## الوجود البرتغالي في شرق أفريقيا:

يحسن عند الحديث عن الوجود البرتغالي في شرق أفريقيا تتبع جهود البعثات الاستكشافية والحملات البرتغالية، والسير خطوة فخطوة مع تلك الحملات العسكرية للتعرف على صورة الاحتلال البرتغالي لتلك المناطق. وقد استغرقت هذه الحملات حوالى الثلاثين عاماً حتى وصلت السفن البرتغالية إلى أرض غنية بخضرها ومزروعاتها حيواناتها تسيطر عليها مجموعات قوية من الأفريقين، فكان هذا الكشف مدعاة لدحض المزاعم القديمة التى توارثها الأوروبيون [2].

ومن الجدير بالذكر أن البرتغاليين لم يصلوا إلى شرق أفريقيا بيسر وسهولة، وإنما تم ذلك نتيجة لجهود جبارة قاموا بها بقيادة هنري الملاح حيث كان يدرس الأجرام السماوية والفلك، وتحملوا في سبيلها العناء والمشقة وصولا إلى أهدافهم. وكان احتكاكهم بشمال وغرب القارة قد سبق احتكاكهم بشرقها، ففى عام 818هـ/1415م احتلوا سبته،وأصبح الأمير هنري حاكماً عليها، وقد استغرق احتلالهم للساحل زهاء عشر سنوات، ذلك أن كل حملة عسكرية كانت تخضع سلطة أو منطقة، ثم تغادرها وتأتي حملة أخرى وتفعل مثل ما فعلته الأولى، ولم يجازف البرتغاليون بترك حاميات عسكرية في المراحل الأولى لوصولهم إلى ساحل شرق أفريقيا، لأنهم لم يجدوا حليفاً محلياً يعتمدون عليه باستثناء سلطان مالندى، الذي تحالف معهم أملاً في مساعدتهم للقضاء على ممبسة، وفيما بعد بدأ البرتغاليون في إقامة المحطات وبناء الحصون، وترك حاميات عسكرية في تلك الحصون، وذلك تمشياً مع معرفتهم بأهمية الساحل لهم [3].

وهكذا استمر الاحتلال التدريجي للساحل إلى أن تمكنوا في النهاية من إخضاعه بالكامل، وبذلك كانت الحملات الاستكشافية البرتغالية بداية عهد جديد

---

[1] كولن ماكفيدي: أطلس العالم الأفريقي، ترجمة مختار السويفي،الهيئة المصرية العامة للكتب،2002م،ص134.

[2] عبد الجليل الشاطر البصيلي، الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق أفريقيا والبحر الأحمر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، 1964 1965م، ص129.

[3] عبد الرازق على عثمان ، نفس المرجع، ص35، 36.

بين أوروبا من جهة وأفريقيا وآسيا من جهة أخرى، مما أدى إلى بسط نفوذ الأوروبيين السياسي والاقتصادي على السواحل الأفريقية والآسيوية [1].

ومن المعروف أن هنري الملاح قد قام بدور بارز في تكوين الإمبراطورية البحرية البرتغالية، وكان من أشد المتحمسين لمحاربة الإسلام، وقد خطط لتكون سبته قاعدة لشن الحملات العسكرية على المسلمين في شمال أفريقيا، وقاد بنفسه حملة حاولت احتلال طنجة عام (840ه/1436م). وفي عهده وصلت الحملات البرتغالية إلى الرأس الأخضر عام (850ه/1446م) وصب بهر السنغال وسيراليون عام (864ه/1460م) واجتاز البرتغاليون خليج غانا عام (876ه/1471م)،وتمكنوا من اكتشاف مصب نهر الكونغو عام (887ه/1482م) [2] .

وتولت البرتغال إكمال الجهود الاستكشافية مستعينة بالعلوم والمعارف العربية، كالمرشدات الملاحية والخرائط البحرية والبوصلة والإسطرلاب التى أخذوها عن العرب بعد استيلائهم على مدينة سبته عام (818ه/1415م) [3] وقد استطاع دى جاما الوصول إلى جزيرة القديس جورج القريبة من موزامبيق في الأول من آذار عام (904ه/1498م) [4] .

وقد كانت خطة دي جاما في أول الأمر استخدام سياسة ودية مع سكان المناطق التى يمر بها، وعقد صداقات مؤقتة مع شيوخ العرب شرق أفريقيا، حتى إذا ثبت أقدامه في المنطقة نفذ خطته الصليبية، مع العلم أن حكومة البرتغال قد أصدرت تعليمات إلى الملاحين في حملاتهم الأولى إلى الهند، أوصتهم فيها بحسن معاملة سكان المناطق التى يصلون إليها، وعدم استخدام العنف والقسوة، وإخفاء أسلحتهم تحت طيات الملابس، وعدم إظهارها، وذلك لكسب مودة الأهالى وصداقتهم، إلى أن يثبتوا أقدامهم في المنطقة ومن ثم ينفذوا خطتهم الصليبية المعهودة [5] .

---

1 حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 1984م ،ط3،ص176.

2 عبد الرازق عثمان. نفس المرجع، ص35، 46.

3 بشير كاظم، نفس المرجع، ص16.

4 نفس المرجع، ص17.

5 سونياهاو: في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة،1957م، ص102، 103.

وقد أكد سونياهاو تلك السياسة، وذكر أن دى جاما اتبع الأسلوب السياسي المرن مع حاكم قاليقوط، الذي باعه أنواعاً رديئة من التوابل وبأسعار غالية حتى يظهر للسكان أن معادلة البرتغاليين حسنة وأن أسلوبهم مرض مع التجار[1].

واستقبل (دى جاما) في أول الأمر استقبالاً ودياً، حتى أن أمير موزامبيق استضافة، ورد إلية الضيافة بأن زاره في سفينته، ولكن سرعان ما تغيرت نظرة العرب إليه، عندما اكتشفوا غاياته وعرفوا أنه برتغالي صليبي [2].

ووصل فاسكو إلى الهند بإرشاد ملاحين من أهل مالندي ومن ثم عاد إلى البرتغال، في نفس الطريق عام (950ه/2499م) [3]. ومن الجدير بالذكر أن دى جاما في أثناء طريقه إلى الهند يقال إنه وصل إلى الملبار وقد وجد فيها وجوداً عربياً قوياً، ولم يرغب في الاصطدام معهم، مما دفعه إلى التوجه إلى كانا نور وجوا ومن هناك تمكن من شحن سفنه لأول مرة بالسلع الشرقية من مصادرها الأصلية، وعاد إلى بلاده مباشرة عن طريق مقديشو، بعد أن ضربها بالمدافع وهدم كثيراً من منازلها، كما أغرق عدداً من سفنها الراسية في مينائها، ومن ثم مر بمالندى التى تزود منها بالمؤن، ثم مر بزنجبار وجنوب أفريقيا، ووصلت طلائع سفنه إلى لشبونة في يوليو (905ه/1499م) واستقبلت لشبوئة دى جاما استقبالاً لائقاً به كبطل فاتح مظفر، وهكذا حصدت البرتغال ومعها أوروبا كلها فوائد الكشوفات الجغرافية، وتحققت أحلامهم في الوصول إلى مصادر السلع الشرقية دون المرور ببلاد المسلمين [4] . حيث تمكنوا من السيطرة على التجارة العالمية وتخليصها من المسلمين وتجار البندقية وسلب ثرواتهم.

---

1 نفس المرجع، ص102 ،103.

2 بشير كاظم، نفس المرجع، ص18.

3 محمد ،نفس المرجع، ص100، عبد الرزاق على عثمان، نفس المرجع، ص36. راشد البراوي:الرق في أفريقيا البرتغالية، دار النهضة العربية، القاهرة 1962م، ص23.

4 عبد الرازق على عثمان، نفس المرجع، ص36، 37.

**الخـاتمـة :**

وهكذا وبعد أن شارف هذا البحث على الانتهاء، فيجدر إلقاء نظرة مختصرة لكنها متأنية على ما مر فيه من أحداث.

ولعله من حسن الحظ أن هيأ الله لهذا البحث الكثير من المراجع والمصادر العربية قديمها وحديثها عامة ... والعمانية منها خاصة، إضافة إلى المصادر الأجنبية العديدة، حيث أغنته جمعها بمادة علمية ثرة. كيف لا وأن كثيراً من المؤرخين العرب القدامى كانوا ممن عرفوا بالحجة الدامغة وسعة العلم والإطلاع، أمثال المسعودى وابن بطوطة وابن ماجة والقزويني وزياقوت الحموى والطبرى وابن الأثير والمقريزى والإدريسي وابن زريق بن بخيت العماني، وأغلبهم كانوا يروون ويحدثون عما رأوه أو سمعوه ممن عاصر الأحداث، أو نقلوه عن غيرهم من الثقافت.

وهكذا كان حال المؤرخين الأجانب ممن عاصروا الأحداث أمثال هاملتون ولوثروب ستودارو وكراتشكوفسكي ودافيدسون وجوليان وأوين وكثير غيرهم من المحدثين العرب والأجانب، الذين تناولوا بالبحث موضوع الدراسة (جهاد العمانيين وأثره في مقاومة البرتغاليين في شرق أفريقيا "1061 1143ه/1650 1730م").

وقد تحدثت الدراسة عن تاريخ عمان والهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا القديمة قبل الإسلام وبعده، وأنه كان لهذه الهجرات أسباب عدة، منها: دينية كهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة هرباً من تعذيب مشركى قريش.أو لأسبايب سياسية هرباً من النزاعات وخلافات العرب في دولهم. أمثال الذين هاجروا أيام حكم عبد الملك بن مروان هرباً من بطش الحجاج ابن يوسف الثقفي. أو أسباب اقتصادية ، كالتجار الذين كانوا يهاجرون في رحلاتهم لطلب الرزق.

وقد وضحت الدراسة دور هؤلاء العرب في نشر الإسلام في ساحل شرق أفريقيا، ومن ثم امتزاجهم بالأفارقة بالتزاوج والتعايش السلمي، الذي أدى بالتالي إلى ظهور الشعب السواحيلي.

كما رسمت الدراسة صورة لأحوال الشرق الدينية والسياسية في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. وبينت الضعف والانقسام الذي كانت عليه الدول الإسلامية التى كانت تحكم المنطقة آنذاك.

كما تحدثت الدراسة عن القوتين الإسلاميتين اللتين كان لها شأن في مواجهة الاستعمار البرتغالي.

حيث تمثلت إحداهما بدولة العثمانيين في استانبول وهم من أهل السنة وتمثلت القوة الثانية.

بدولة الصفويين الشيعية في إيران، وكانت كل من هاتين القوتين في صدام مستمر بينهما.

وتحدثت الدراسة عن العلاقات البرتغالية مع لاشرق، وأنها كانت نتيجة لمحاولات تمت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي لاكتشاف طريق يدور حول قارة افريقيا ترأسها الأمير هنرى الملاح، حيث تم اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام (892ه/1486م)، ومن ثم وصول فاسكو دي جاما إلى الهند.

وبينت الدراسة أن الكشف العلمي لم يكن وحده أبداً الغرض الرئيسي لحملات البرتغال الاستكشافية، وإنما هناك عوامل عدة تختفى خلف ستار العلم، أهمها:

1) العامل الديني والأطماع التى كان البرتغاليون يحلمون بتحقيقها من هذا الغزو في نشر المسيحية بين الأفارقة من المسلمين وغير المسلمين، إضافة إلى تغيير دين مملكة الحبشة إلى المذهب الكاثوليكي مذهب البرتغاليين، بعد أن كان الأوروبيون ينظرونإليها على أنها لغز غامض مجهول لمملكة نصرانية قوية، ومن ثم توضح أمرها وعلموا أنها مملكة الحبشة.
2) العامل الاقتصادي الذي جعل البرتغال تسعى إلى منازعة العرب في تجارة التوابل من الهند، وتجارة الرقيق من أفريقيا، والذهب والفضة والعاج، حيث ظلت موزامبيق مركزاً رئيسياً لها.
3) العامل السياسي في التحالف مع الحبشة في صراعها مكع العرب لتشكيل قوة تمكنها من السيطرة على المنطقة.

وبينت الرسالة أن البرتغاليين لم يكتفوا بالوصول إلى الهند، وإنما رأوا أنهم لن يتمكنوا نمن السيطرة على العرب وانتزاع التجارة العالمية منهم دون الاستيلاء على الخليج العربي،إضافة إلى السواحل الشرقية لأفريقيا.

وقد أوضحت الدراسة أن من أهم العوامل التى ساعدت البرتغاليين في السيطرة على ساحل شرق أفريقيا أن الإمارات الإسلامية كانت متحدة تقريباً إلا ماليندى، التى تحالفت مع البرتغال، وأن الأفارقة لم يكن لديهم السلاح لمحاربة البرتغاليين وأنهم لم يلقوا الدعم الكافي من الدول

الإس\لامية كالعثمانيين والصفويين. وأن الاحتلال استغرق عشر سنوات بحملات كانت تخضع كل منها منطقة على حده، ثم تغادها إلى أخرى، وأن دي جاما استخدام السياسة الودية مع الأفارقة.

وتذكر الدراسة أن موضوع طلب دي جاما من حاكم مالنيدى أن يزودوه بملاح يرشده إلى طريق الهند، وأنه أرسل إليه أحمد بن ماجد الذي دله على الطريق وهو في حالة سكر أمر مشكوك فيه، وتطرح الدراسة الآراء التى تدحض هذه المزاعم. خاصة أن أحمد بن ماجد رجل حج بيت الله الحرام وله أراجيز ومؤلفات علمية تنفي عنه هذا القول.

وتتحدث الدراسة عن الصراع بين المماليك والبرتغاليين والحملات العسكرية التى وجهها السلطان قانصوه الغورى ضدهم من ميناء السويس إلى الهند للمحافظة على التجارة العربية، وأن المعارك كانت بينهما سجالاً، ولكنها انتهت بهزيمة المماليك في معركة ديو عام (914ه/509م)، التى وضعت حداً للتفوق الإسلامي، وليتحقق للبرتغاليين بذلك احتكار تجارة الشرق.

وكان لابد للدراسة من التحدث عن الصراع العثماني البرتغالي الذي بدأ عقب الفتح العثماني لمصر عام (922ه/1517م). حيث عمل السلطان سليم الأول ومن بعده السلطان سليمان القانوني على تعزيز الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط، لإنقاذ أسواق التجارة الشرقية. وكيف ساندة شيوخ من البحرين والقطيف والحسا والبصرة، وأنه تمكن من فتح العراق، ومن استيلاء على الشام والبحر الأحمر، ومن ثم مناصرته للمجاهدين العرب في ساحل شرق أفريقيا ضد التحالف البرتغالي الحبشي. كما ذكرت الرسالة دور على بك في حملاته لنصرة الأفارقة ضد البرتغاليين، وكيف أنه وقع في أسرهم بعد أن ألحق خسائر جسيمة بهم.

وأكدت الدراسة على دور العثمانيين في وقف الزحف البرتغالي، والحيلولة دون قيام تحالف برتغالي حبشي ضد القوى العربية الإسلامية.

كما ذكرت الدراسة حادثة قتل البرتغاليين لحاكم ماليندى الحسن بن أحمد الذي نصبوه حاكماً على ممباسا، ثم قتلوه بعد اختلافه معهم، ونصبوا ابنه الصغير يوسف بعد أن ربوه على النصرانية حاكما،

ولكنه عندما كبر عاد إلى دينه وانحاز إلى شعبه، وقتل القائد البرتغالي، وقامت بينه وبين البرتغاليين حملات انتهت بتركه للبلاد ومات شاباً في جده (1047ه/1637م).

وتبرز الدراسة الأعمال الإجرامية التى قام بها الفرنسو دي البوكيرك في هجماته المستمرة للمدن الساحلية الأفريقية كممباسا وكلوة وبات ولامو وموازمبيق وجزيرة سوقطرة، وأن هذه المدن كانت تتعرض للحرق والتدمير مرات عديدة وعلى فترات زمنية متباعدة، إضافة إلى قتل الأهالى، وهدم بيوتهم وإرغامهم على التنصير، حتى إنهم حولوا مساجد في بات إلى إسطبلات لخيولهم.

وتشير الدراسة إلى السياسة الاستعمارية البرتغالية كانت واحدة، فقد لاقت المدن العمانية من السياسة الوحشية ما لاقته مدن الساحل الشرقي لأفريقيا من النهب والسلب، كما حدث في مسقط وقلهات وصبحار وقريات وخور فكان، حيث حولوها محطات برتغالية، وكان أبرز ما استهدفه البوكيرك تحطيمه لمملكة هرمز.

ولم تغفل الدراسة ذكر أعمال القرصنة التى يقوم بها البرتغاليون، حتى أن سفنهمكانت تنهب بعضها بعضاً، وأن الشاه عباس حاول تتبع البرتغاليين على السواحل الغربية للخليج ولكن الجهود الفارسية باءت بالفشل.

وتبرز الدراسة حدث هام هو تزامن سقوط هرمز مع ظهور الإمام اليعربي ناصر ابن مرشد الذي تصدى للغزو البرتغالي وتمكن هو وخلفاؤه من بعده من القضاء على نفوذ البرتغاليين في المنطقة.

وفي الحديث عن العمانيين تبين الدراسة أن عمان اشتهرت منذ العهد الأموى بأنها معقل للمذهب الأباضي، الذي تميز بنظام الإمامة بالبيعة لا بالتوراث. وأنها كانت تحكمها (دويلات الأمراء)، لذا كانت تعاني من الاضطراب السياسي والنزاع القبلي.

وأكدت الدراسة على دور الأمام ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة العمانية في توحيد القبائل والبلاد، وأن جهاده ضد البرتغاليين كان بدافع ديني.

كما أبرزت دور سلطان بن سيف بن بلعرب في مواصلة صراع العمانيين البرتغاليين، حيث أجلاهم عن آخر معقل لهم في الخليج

(1069ه/1658م)، ثم تتبعهم إلى المحيط الهندي. كما ساعد الأفارقة في ساحل شرق أفريقيا في صراعهم أيضاً ضد البرتغاليين.

ولم تغفل الدراسة النزاع الذي حدث بين الأخوين بلعرب بن سلطان وأخيه سف ابن سلطان. هذه الفتنة التى شغلت العمانيين عن متابعة الجهاد ضد البرتغاليين، بعد أن قاوموهم لفترة زمنية طويلة.

كما أبرزت الدراسة دور سيف بن سلطان الأول في الحكم، حيث بلغت البحرية العمانية في عهده حداً من القوة جعلها تنافس الأساطيل الأوروبية. مما ساهم في مساعدته للأفارقة، وفي حربه مع الإيرانيين في الجليج. وفي صراعه مع البرتغاليين لتحرير بلاده.

وتبرز الدراسة أن الصراع في الأسرة العمانية الحاكمة استمر لسنوات، وأدى بهم إلى طلب معونه الفرس لهم في صراعهم ضد البرتغاليين، ولكن اتضحت بعد ذلك نوايا الفرس العدوانية في احتلال البلاد. كل هذه العوامل كانت سبباً في سقوط دولة اليعاربة (1123 1131ه/1711 1718م).

وتبين الدراسة أن الأسرة الحاكمة الجديدة التى استمرت إلى يومنا هذا والتى أسسها أحمد بن سعيد هى التى استطاعت إرغام الفرس على الانسحاب من عمان عام (1157ه/1744م). وبذلك بدأت عمان عهداً جديداً في الحكم وفي الصراع العماني البرتغالي.

وقد أسبهت الدراسة في إبراز قوة الأسطول البحري والملاحة البحرية التى كان لها دوراً مهماً في إنعاش التجارة والزراعة في البلاد. وتطرقت إلى أسماء البحارة كل حسب مرتبته، والمعارف والآلات البحرية التى توصلوا إليها لتساعدهم في خوض البحار.كما تطرقت لاذكر خصائص المراكب البحرية وأنواع وأسماء كل من هذه المراكب.

كما أكدت الدراسة على أن هذه القوة البحرية ساعدت على ظهور مدن ساحلية عديدة اشتهرت بصناعة السفن وبكونها موانئ تجارية.

وبم تغفل الدراسة اعتماداً على تاريخ المزروعى الحديث عن وصول أسرة المعمورى إلى حكم ممبسة نيابة عن السلطان العماني اليعربي، حيث استمرت في حكمها حتى عام (1152ه/1739م)، ومن استطاع محمد بن عثمان المزروعي انتزاع ولاية مبسة منها، واستقل هو

وخلفاؤه في حكمها حتى أسقط حكمهم السيد سعيد بن سلطان عام (1255ه/1839م).

وأبرزت الدراسة أن الصراع البرتغالي العماني في ساحل شرق أفريقيا استمر حوالي قرنين ونصف في حقبتين زمنيتين:

الأولى: فترة حكم الأسرة اليعربية (1060 1157ه/1650 1744م).

الثانية: فترة حكم الأسرة البوسعيدية (1057 1318ه/1744 1900م)، حيث برزت أول دولة عربية آسيوية ظهرت في تاريخ العرب الحديث.

وتتحدث الدراسة أنه بالرغم من الأوضاع الداخلية في عمان والصراع الأسري إلا أن البرتغاليين لم يتوغلوا داخل العمق الاستراتيجى في ساحل شرق أفريقيا، ولم يتجاوزوا المناطق الساحلية. نظراً لقوة العمانيين في دحرهم، ولقلة عده البرتغاليين وعتادهم التى لم تمكنهم من خوض المعارك في الداخل.

أظهرت الرسالة الأثر الكبير للعمانيين في ترسيخ دعائم الإسلام في شرق أفريقيا وفي الداخل خاصة، إضافة إلى الوقوف في وجه الحملات التبشيرية المسيحية. وأن هجرة العديد من الأفارقة الذين كانوا يعيشون في ساحل شرق أفريقيا إلى الداخل هرباً من ظلم االبرتغاليين وسياستهم الوحشية، كان سبباً في انتشار الإسلام بينهم. مما جعلهم مركز عداء دائم منع البرتغاليين من محاولة التوغل داخل أفريقيا.

أكدت الدراسة على أثر السياسة الاستعمارية على الشعوب الأفريقية والعربية، وأنها كانت مبعث ثوراتهم المستمرة من جهة، وسبباً في إضعاف النفوذ البرتغالي ليس في شرق أفريقيا فحسب بل الشرق كله.

وضحت الدراسة أن من أسباب اندحار النفوذ البرتغالي أيضاً هو خضوع البرتغال لأسبانيا التى فضلت مصالحها على مصالحهم.

كما أبرزت الدراسة دور القوى الأوروبية المنافسة للبرتغاليين، والتى تمثلت في الإنجليز والهولنديين الذين كانوا أكثر تنظيماً وتسليحاً من البرتغاليين. والذين أصبحو يطلبون ود العرب، ويعقدون معهم المعاهدات للتفوق على البرتغاليين.

كما أوضحت الدراستى أن من هذه الأسباب ظهور المشاكل الداخلية في صفوف البرتغاليين كالتمرد والعصيان، إضافة إلى أعمال

القرصنة التى كانوا يقومون بها ضد السفن العمانية وغيرها مما زاد نقمة العرب عليهم.

ولم تغفل الدراسة حين تعرضها لانحسار النفوذ البرتغالي أن تبين أثر قوة العمانيين البحرية واستفادتهم من النظام العسكري الدقيق للدول الأوروبية،حيث كانوا يراقبون قوة أعدائهم بدقة وحرص، إضافة إلى الذخيرة والبارود التى كانوا يستولون عليها من السفن الأوروبية التى تقع في أيديهم.

كما ذكرت الدراسة أن نزاع البرتغاليين مع حكام الولايات الهندية كان سبباً في نقص مواردهم الاقتصادية.

وأشارت إلى أن تفوف الأسطول الإنجليزي بعد أن اختراع البخار واستخدامه في الملاحة البحرية، جعل الإنجليز يتفوقون على غيرهم من الدول الأوروبية الطامعة في.

# المصادر والمرجع

## المصادر العربية:


- ابن إياس: محمد أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق:محمد مصطفى،ج4،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2،القاهرة، 1402ه/1982م.
- ابن الأثير: على بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ،ج2،نشر المطبعة الدميشقية والمكتبة التجارية القاهرة،1348ه/1958م.
- ابن بخيت: حميد بن محمد بن زريق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين،تحقيق:عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله، وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عمان، ط1403،2ه/1983م.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779ه/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: على المنتصر الكناني، جزآن، مؤسسة الرسالة،ط4، بيروت،1405ه/1985م.
- ابن قيصر:عبد الله بن خلفان، سيرة الأمام ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة، تحقيق:عبد المجيد حسيب القيسس، ط1،دار الحكمة، لندن،1423ه/2002م.
- ابن المجاور: جمال الدين يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر،ج2،تصحيح:أوسكر لونفرين، مطبعة: بريل (ليدن 1951م)، ص266.
- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر(732ه)، تقويم البلدان، تحقيق رينود ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس،1840م.
- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409ه/1989م.
- الأزكوري: سرحان بن سعيد العماني، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة لأخبار الأمة. تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة، عمان، ط3، مسقط، 1406ه/1986م.
- الأنصاري: محمد بن أبي طالب (727ه)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط1، 1408ه/1988م.
- البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739ه)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق:على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط1412،1ه/1992م.
- التعالي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429ه/1307م)، لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1379ه/1960م.
- الجاحظ: أبو عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون، ط2،مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، ج3.
- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت626ه/228م)، معجم البلدان، دار صادر، ،،، وت، 1400ه/1980م.

- الدمشقي: شمس الدين أبو عبد الله، تحفة الدهر وعجائب البر والبحر، بطرسبورج، 1865م.
- الدميري:الشيخ كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، ج2،مصر 1383ه/1963م.
- الرامهرمزي: برزك بن شهريار الناخذاه الرامهرمزى، عجائب الهند بره وبحره وجزائره، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).
- السالمي: نور الدين بن عبد الله بن حميد (1332ه/1914م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم طفيس الجزائري الميرابي، ج2 مطبعة الشباب، ط2،القاهرة، 1350ه/1931م.
- السخاوي: شمس الدين بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1353ه/1933م.ج1.
- السيابي: سالم بن حمود، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ على آل ثاني حفظهما الله، منشورات الكتب الإسلامية، قطر، 1384ه/1965م.
- السيرافي: أبو زيد، رحلة التاجر سليمان: سلسة التورايخ، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1811م.
- الصوافي: عبد الله مصبح، السلوة في أخبار كلوة،نشر وتحقيق:آرثر سترونج، لندن،1985م.
- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك،القاهرة،ج2، 1916م.
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1399ه/1979م.
- القلقشندي:أحمد بن على (821ه)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،تحقيق:نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1407ه/1987م.
- القماني: أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، فهد سعيد، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1412ه/1992م.
- المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق:محمد محي الدين عبد المجيد، ج1، نشر دار الرجاء، القاهرة،1964م.
- المعولى: أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد، قصص وأخبار جرت في عمان، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عمان،1983م.
- المغربي: على بن موسى بن سعيد (685ه)، الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1390ه/1970م.
- المغيري: سعيد على جمعة، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار،ط2، المطبعة الأشرقية، مطرح عمان، 1406ه/1986م.
- النهروالي: قطب الدين محمد أحمد (ت988ه/1580م)، البرق اليماني في الفتح العماني، أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة،ط1، الرياض، 1387ه/1967م.

## المراجع العربية:


- بابكور: عمر سالم، الإسلام والتحدي في أفريقيا، مطابع جامعة أم القرى، 1418ه.
- بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية،ج2،الدوحة،1976م.
- البحراوي: محمد عبد اللطيف، فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي بين البر والبحر، القاهرة، 1979م.
- البراوي: راشد، الصومال الكبير حقيقة وهدف، القاهرة، 1961م.
- البرازي: راشد، الرق الحديث في أفريقية البرتغالية،دار النهضة العربية،القاهرة، 1962م.
- البطريق: عبد الحميد، التاريخ الوربي الحديث، دار النهضة العربية،بيروت، 1977م.
- جريس: غيثان بن على، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية،ج2،الإسكندرية، دار السماح للطباعة،1997م.
- الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.
- حافظ: صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، 1982م.
- حراز: السيد رجب، أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1968م.
- حسن إبراهيم: حسن إبراهيم،انتشار الإسلام في القارة الأفريقية،ط2، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1964م.
- حسن يوسف: يوسف فضل، دراسات في تاريخ السودان، جامعة الخرطوم، 1975م.
- حميدي: جعفر عباس، تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، عمان، دار الفكر،2002م.
- حنظل: فالح، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، أبو طبى،ج1،نشر لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة،ط1، أبو ظبي، 1400ه/1980م.

• حنظل: فالح، العرب والبرتغال في التاريخ (93 134ه/711 1720م)أبو ظبي، منشورات الجمع الثقافي، ط1، 1418ه/1997م.
• الحويري: محمود محمد، ساحل شرق أفريقية، دار المعارف، القاهرة،1986م.
• درويش: مديحة أحمد، سلطنة عمان في القرنين (18، 19م)، دار الشرق، جدة،1982م.
• دياب: أحمد إبراهيم،الاستعمار الأوروبي ونتائجه على العلاقات العربية الأفريقية، أم درمان، معهد البحوث ودراسات العالم الثالث.
• رياض: زاهر، الإسلام في إثيوبيا، القاهرة، 1964م.
• سالم: السيد مصطفى، الغتح العثماني الأول لليمن، القاهرة، 1969م.
• السرياني: محمد محمود، الوجيز في حغرافية العالم الإسلامي دراسة لملامح الأقطار الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم، ج1، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1417ه/1997م.
• السيابي: شامس سالم، العنوان في تاريخ عمان، 1385ه.
• السيار: عائشة على، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية، دار القدس، بيروت، 1975م.
• صبري: صلاح، أفريقية وراء الصحراء، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1960م.
• الصيرفي: نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن (10ه/16م)، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1403ه/1983م.
• عابدين: عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، القاهرة، 1367ه/1947م.
• عبد الجليل: الشاطر بوحيلي، معالم تاريخ السودان ووادي النيل، الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق أفريقية والبحر الأحمر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، (1964 1965م).
• عبد العال: محمد، البحر الأحمر ومحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، نصوص مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوط قلادة النمل، القاهرة، 1980م.
• عبد الكريم:أحمد عزت، دراسات في النهضة العربية الحديثة، فصل العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا، القاهرة، (بدون تاريخ).